روايات
ALHAN
ألحان

الحقيقة المرّة

١٥٥

ثمن النسخة							
لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

www.elromancia.com

ينجب "بادي" ابنته "تريشيا" في سن متاخرة ولما شعر بدنو أجله استدعى "شوك كولبي" للعناية بمزرعته لدرايته الكافية بشؤونها ولأن ابنته مازالت صغيرة على تحمل مثل هذه المسؤولية . تشاء الأقدار أن يجمع الحب بين قلبي "تريشيا" و"شوك" . تحدث المفاجاة عندما يموت الأب .

ما المفاجاة ؟ ما وقع تاثيرها على كل من "تريشيا" و"شوك"؟ هل هذه المفاجاة هي التي دفعت "تريشيا" إلى مغادرة المزرعة ؟ ما عواقب هجرانها لـ"شوك" ؟ ما موقف "شوك" نفسه منها ؟

ستجد - عزيزي القارئ - إجابة لكل هذه التساؤلات لدى متابعتك لهذه الرواية الشيقة.

شخصيات الرواية

"تريشيا رايلي": فتاة تحب الخيول.

"شوك كولبي": رجل يمتلك مزرعة كبيرة للمواشي.

"باتريك رايلي" أو "بادي": والد "تريشيا".

"روز": مديرة منزل "بادي".

الغلاف الأمامي

- لكن لسنا وحدنا المعنيين بهذا. "ناتان" دخل في القضية ! ليس لـ "جرين هيلز" أو أنت أو أنا ! "ناتان"!

أدرك أنه يؤلمها بمسكته وتركها .

تنهدت قائلة:

- "ناتان"، كيف هذا ؟

قال متذمرا:

- هذه ليست مشكلتك يا "تريشيا".

www.elromancia.com

المقدمة

- لكنني لاأعلم شيئا عن الرضيع!

ألقت الفتاة "روز مارتان" - التي تمسك الرضيع الذي أتى إلى الحياة منذ عدة ساعات بذراعيها - نظرة محبطة على الدكتور "هانسن" الذي تنهد وهو يفكر.

- كم عمرك يا "روز"؟

- إنني في التاسعة عشرة من عمري.

- هل لديك إخوة أو أخوات ؟

- لي أخوان كبيران . وأعمال المزرعة تأخذ مني وقتا طويلا حتى لا يمكنني العناية باطفال الآخرين.

بدأت الفتاة تستشيط غضبا . لن يتركها الطبيب وحدها في هذا المنزل الكبير البعيد عدة أميال عن أقرب مزرعة مع مولود حديث العهد والسيد "رايلي" في مثل هذه الحالة التي يوجد عليها!

- منذ متى وأنت تعملين في "جرين هيلز" يا "روز"؟

- منذ أسبوعين.

ثم بادرت بإضافة التالي:

- لكنني لا أعمل ممرضة . إنني مديرة منزل على سبيل التجربة مدة شهر.

- هل تعيشين هنا؟

قالت محددة وهي تهدهد الرضيع دون أن تدرك:

- نعم ، لدي غرفة خلف المطبخ وبها حمام وصالون صغير . لكنني لا أعلم شيئا عن الأطفال .

تجول "هانسن" في الصالون الكبير بينما كانت "روز" صامتة . كان كل شيء هادئا جداً لدرجة أنهما قد يبدو أنهما وحدهما في المنزل . من كان يخمن أن السيد "رايلي" الذي حطمه الحزن يحبس نفسه في المكتبة وأن رجال الإسعاف في الحجرة الكبرى يستعدون لنقل السيد "رايلي"؟ لم تر "روز" قط امرأة جميلة مثلها بشعر أشقر وعينين زرقاوين . والآن...

سألت:

- هل حدث ذلك لأنها كبيرة في السن ؟

ابتسم "هانسن" للفتاة الشابة التي أبدت ارتياحا نحو الطفل الرضيع.

- صحيح أنه من الخطورة أن تنجب طفلا للمرة الأولى وهي في السادسة والأربعين . لكنها لن تموت.

قال صوت قادم من على عتبة الباب:

- دكتور! لديك بعض الأوراق لتوقع عليها .

سار الطبيب وراء رجل الإسعاف وعاد بعد قليل .

- "روز" هل علمت بالمصادفة الاسم الذي تريد "مابي" تسمية الرضيع به؟

- سمعتها تقول : إنه إذا كان ولدا فإنها ستسميه "باتريك" باسم أبيه لكنه بنت.

بما أن الطبيب استمر في النظر إليها دون أن يقول شيئا واصلت

www.elromancia.com

الفتاة حديثها :

- لاتريدني أنا بالتاكيد أن أسميه!

- لا أعتقد أن بادي" في حالة تسمح له بذلك!

- بالتاكيد لكن ليس من دوري أن أختار الاسم.

- إما أن تفعلي هذا او أسميه "رضيع "رايلي". يستطيع "بادي" أن يغيره بعد ذلك إذا أراد ذلك.

- حسنا ، لنسمها "تريشيا".

ينبغي ألا يضايقها هذا . كانت "روز" تخشى السيد "رايلي" الذي يعتبر أقوى رجل رأته على الإطلاق والذي بدت نظراته تخترقها تماما. إنه لم يرفع صوته معها قط، لكنها أحست بأنه يستطيع شطر أي أحد إلى نصفين بكلمة منه لم تشأ "روز" أن تثير غضبه لأي سبب من الأسباب .

تغيب الطبيب فترة وتأملت الفتاة اللفافة الصغيرة التي تتحرك بين ذراعيها .

كانت العينان الزرقاوان تتجولان من نقطة إلى أخرى في الحجرة . كان هناك غطاء من الريش يغطي وجه الصغيرة . طبعت "روز" قبلة على جبينها واشتمت رائحة جلدها الناعم.

همست :

- أنت فضولية ، أليس كذلك ؟ ومتلهفة . فاجأت الجميع بوصولك المفاجئ قبل الأوان . "باتريشيا" إنه اسم طويل على صغيرة مثلك "بات"...؟ "باتي"...؟

"تريشيا" ؟ نعم، هذا الاسم! "تريشيا".

أتى صوت ضجة خافتة من الصالة ثم انغلق الباب ، وخيم الصمت ، عاد الطبيب وقد بدا الحزن والاضطراب عليه .

سألت "روز" :

- هل آل "رايلي" أصدقاؤك يا دكتور؟

- نعم يا "روز" ، إنهم أصدقائي . أمل أن تكون الطفلة خير معاون

لـ"بادي" عندما تكبر ، ولهذا تركتها هنا . لكن إذا اعتقدت حقيقة أنه لن يمكنك أن تتدبري أمرك بنفسك فإنني سأرتب نفسي على أن تدخل المستشفى بعض الوقت .

لم تتخيل "روز" هذا الافتراض . كانت تأمل أن يرسل شخصا كفئا يساعدها .

قالت "روز":

- لاتزال المولودة صغيرة على هذا.

ابتسم الطبيب حينما ضمت الرضيعة إليها .

- لقد أعدت السيدة "رايلي" طقم الممرضات . لقد ساعدتها في تنظيم كل شيء قبل أمس. إذا قلت لي :عما ينبغي أن أعطيها إياه وفي أي وقت فإنني أعتقد أنني سأتدبر أمري .

- حسنا جدا يا "روز" .

أخذ الطبيب بطاقة الإرشادات وبدأ يدون كل التعليمات الضرورية .

- سأمر في ساعة مبكرة من صباح الغد لأطمئن على حال "بادي" . سأترك لك رقم هاتفي الخاص . اتصلي بي إذا واجهتك مشكلة .

وجدت "روز" نفسها وحدها وطفلة رضيعة على ذراعيها بينما كان والد الطفلة يحبس نفسه في المكتبة .

قالت للرضيعة:

- وإذا لم يكن في استطاعتك يا صغيرتي ألا تعتمدي إلا علينا فيجدر بك أن تعلمي سريعا أن تتدبري أمرك بنفسك.

بدت قبضة يد صغيرة ترتفع في الهواء . انفتحت أصابع نحيفة ثم انغلقت . هناك حياة جديدة تأخذ مسارها .

www.elromancia.com

الفصل الأول

هناك عاصفة تعلن عن نفسها . كانت "تريشيا" تتوقعها. المطر الشديد والبرق والرعد والجو البارد. جالت بنظرها في أراضي "فرجينيا" التي كانت تمتد حتى مرمى البصر تحت شمس مضطرمة تحول كل شيء إلى تراب . كان الهواء قويا في انتظار العاصفة . إذا لم تأت الريح الثائرة لتهز هذا الجمود لابد أنه ستحدث ظاهرة وحشية مماثلة.

تصببت "تريشيا" عرقا . لقد رفعت في الصباح شعرها ، لكنه يسقط الآن على وجهها . دفعت خصلات شعرها الذهبي وهي تتنهد . ترددت في العودة إلى المنزل . كان والدها يرفض دائما أن يدخل التكييف إلى هذا المنزل الكبير . كان المبنى يبدو - من بعيد - مثل المرتفع المطرز بكثير من الزمرد.

تقدمت "تريشيا" نحو أحد الأعمدة وأسندت رأسها إليه تبعا لعادتها القديمة.

إنها تتذكر فصل الصيف حيث لم يكن في إمكانها أن تخرج دون أن

تفعل هذه الحركة.

كانت في الخامسة من عمرها حينذاك . لقد قررت أنه في اليوم الذي يمكنها أن ترفع يديها لتحتضن العمود فستعرف حينذاك أنها بلغت . وجاهدت لأن تشبك أصابعها .. في هذا الصيف أرادت بشدة أن تصبح فتاة بالغة لكن لابد عليها أن تنتظر مثلما يفعل الجميع. لقد أرادت أيضا أن تصبح طائرا لكن كسرت ساقها في نفس السنة التي قفزت فيها من على سطح مبنى الغلال بجناحين من الورق .

كانت فضولية ومتعجلة . كانت هاتان السمتان تتضمنان بعض الخطورة عليها . كانت تلقي بنفسها في شتى أنواع المغامرات التي تبدو مبغضة في أغلب الأحيان.

لكنها لاتندم على ذلك.

إن التعجل يتغلب عليها اليوم. كانت المساحة الشاسعة للمزرعة تخيفها في أثناء طفولتها . كانت تريد أن تكبر لتهرب إلى المدينة ولاتعود إلى "جرين هيلز" كانت تحلم بالعمارات الكبيرة والمدن المزدحمة.

عاشت في المدينة بعد ذلك ثمانية أعوام : أربعة أعوام في مدرسة داخلية فخمة في "أرلينجتون" ثم أربعة أعوام أخرى في الجامعة بـ"واشنطن" . لم تكن الضوضاء والإيقاع الصاخب من طبيعتها. لقد استعادت أنفاسها في هذا البحر الأزرق الذي يربط المنزل بالجبال البعيدة.

- لكن المنطقة لايبدو عليها إلا مظهر الجو البارد. لقد حاولت - عبثا - أن تحبها لكن الحرارة أثقلت عليها . أحست بالحيرة أيضا لأن المواشي لم تعد ترتع .

جلست "تريشيا" في المدخل تاركة العمل الذي ينتظرها في مكتبها . كانت مائدتها مغطاة بالأوراق والطلبات والفواتير وشهادات الدفع .. لكن لم يكن يمكنها الإحساس بالراحة تحت السطح العالي المرهق . تفحصت السماء لتبحث فيها عن أي أثر ينبئ عن سقوط الأمطار لكن

لايوجد شيء . ومع هذا فقد احست بشيء ياتي . بدا أن اليوم يحبس انفاسه.

دوى - فجاة - صهيل حصان جامح في ظل هذا الصمت المخيم ، نظرت "تريشيا" إلى الممر المليء بشجر البلوط الضخم . اقترب فارس وسط هذه العاصفة الترابية . المجنون فقط أو الأحمق هو الذي يمكنه أن يدفع الحصان بهذه القوة . ظهر الرجل ومطيته في وسط الضوء . رأت "تريشيا" ما ادهشها. إنهما يتوجهان مباشرة نحو الباب الرئيسي. هل سيصعدان درجات سلم المدخل ؟

بعد لحظة وصل الموكب الثائر إلى "تريشيا" . أوقف الفارس حصانه بقوة.

أحست "تريشيا" الصامتة بالتراب عليها . إن هذا الشخص مجنون حتما وإن هذا لايجلب لها سوى المضايقات .

رفعت رأسها وحملقت في وجه الحصان المزبد بالرغاوى . ثم تاملت الحيوان المرتعد ثم بنطلون الفارس المقطع وساقيه القويتين وصدره العريض الظاهر من خلف قميصه المفتوح أخفت قبعة فاقدة رونقها- قسمات وجهه . قطبت "تريشيا" عينيها لتحاول أن تميزها.

سألت ببرود بمجرد أن سمحت لها عواطفها :

- هل وصلت بسرعة كما رغبت ؟ أمل ألا أكون قد ضايقتك؟

أحست الفتاة بتعبيرات وجهه تتغير . قالت في قرارة نفسها : هل يضحك سخرية منها أو من الفرحة؟

قال الرجل بنبرة فاترة غير معتادة في "فرجينيا" :

- لماذا ابتعدت بحق السماء ؟

- ولماذا توقفت بحق السماء؟

قالت في نفسها: " إنه ليس راعي بقر . إنه فظ . لكنه ليس سيئا..."

تذكر "شوك كولبي" ابنة "رايلي" . تفرس فيها كثيرا بإعجاب . إنها لا تشبه أباها . لقد تصور أنها أكبر من ذلك بعشرين عاماً ولها وجه دميم. لابد أن عمر "رايلي" يصل الآن إلى السبعين وهذه الصغيرة ..

هذه المراة .. الفاتنة .. هام "شوك" في تامله . كانت بشرتها بيضاء وشعرها احمر . هل هي ضعيفة أم ساخطة؟ أم أنها مزيج صارخ؟

احست "تريشيا" بنظراته الملحة ورفعت ذقنها .

قال أخيرا:

- الشمس مصوبة على عيني . لم أرك في هذه العتمة . سامحيني إذا كنت قد أخفتك.

قالت بنبرة مداعبة :

-لاتقلق . جرعة بسيطة من "الأدرينالين" من هنا وجرعة أخرى من هناك مفيدة جدا للقلب .

قال بابتسامة مقتضبة:

- إنني سعيد لاكتشافي فائدتك يا سيدتي. لكن ليس بك أي شيء يخيفني . الحصان المدرب يمكنه التوقف في الوقت المناسب.

- هذه المعلومة تطمئنني .. حتى بعد ما حدث . إلا إذا اخبرتني أنها طريقتك المحببة للوصول ؟

نهضت "تريشيا" . خلع الرجل المجهول في نفس اللحظة قبعته ومرر يده في شعره الأشقر . تفرست "تريشيا" فيه . كان مسمرا وقسماته رقيقة . كان الرجل جذابا ويغري أي امراة .. فكرت "تريشيا" في أن هناك مضايقات تبدو في الأفق .. شعرت بالندم لإحساسها بالخوف امامه . استاءت في صمت وعدلت بنطلونها "الجينز".

أدرك "شوك" انها قد درسته ورفضته . كان متيقنا من هذا تماما. لم يخطئ كثيرا طوال عمره الذي يناهز التاسعة والعشرين. وهذه المراة ليس بها أي شيء يصعب فك طلاسمه . كانت عيناها زرقاوين وكانت الرسالة واضحة . إنها ساخطة أيضا.

قال وهو يكتم ضحكته عندما أسرعت بنفض الغبار عن بنطلونها :

- هل يمكنني مساعدتك؟

قالت وأسنانها تصطك:

- ليس مجديا أن تتعب نفسك.

www.elromancia.com

ضايقتها ابتسامة "شوك" وتمتمت :

- يالرعاة البقر هـؤلاء!

لم تعن ملاحظتها المستخفة له أي شيء سوى انه اطلق صفيرا طويلا ثم وطئ الزائر الأرض بقدميه . كان الرجل مهيبا وتراجعت "تريشيا" امامه إلى الوراء ، نظرت إليه وهو يربط حصانه بالشجرة . ثم أدارت عينيها عن كتفي الفارس العريضتين لتلاحظ مطيته .

سالته :

- اسمك؟

- "أفاق".

-اسمك "أفاق" ؟

تقدم نحوها بخطى بطيئة وموحية ... أحست "تريشيا" أنها مضطرة لأن تدخل ثوبها في بنطلونها "الجينز"...

قال :

- أعتقد أنك تقصدين الحصان . هو الذي يدعى "أفاق".

قالت وهي تعيد تاملها في رأس الحصان :

- هذا الاسم يناسبه تماما.

- أنا أدعى "شوك" . "شوك كولبي".

لم يعن هذا الاسم أي شيء لـ"تريشيا".

صعد "شوك" درجات سلم المدخل قبلها وتوقف على الدرجة قبل الأخيرة ونظر في عينيها مباشرة.

همس :

- وأنت "باتريشيا رايلي" بالتاكيد.

كان خدها الأيسر يحمل ندبة بيضاء رقيقة.

صححت قوله :

-"تريشيا".

كرر وهو يمد يده إليها :

-"تريشيا" . اسم جميل. "تريشيا".

تلاشى غضب المرأة فجاة . كيف نجح في تحويل لمس راحة يده إلى مداعبة لطيفة؟ غريبة ! ارتعدت الفتاة على أثر لمس يده وخلصت يدها .

سالته :

- من أين أتيت؟

- من "تكساس".

كادت أن تقول دهشة:

"تكسا..

لكنها لم تكمل جملتها وانفجرت ضاحكة.

قال الرجل مبتسما:

- نعم ، فـانا من "تكسـاس" في الأصل لكنني وصلت اليـوم من "فرجينيا" من مزرعة "وينستون".

أدارت "تريشيا" راسها باتجاه مزرعة "ستان وينستون". كانت مختبئة وراء المرتفعات . لكن الفتاة تتذكر جيدا هذه المزرعة الهادئة . والحقل الصغير الذي كانت ترتع فيه الخيول الأصيلة والدجاج النحيف . ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟

سالته بفضول:

- هل اشتريت الضيعة؟

- لقد ورثتها .

- ورثتها ؟

أصبحت الفتاة مرتابة.

استطردت:

- "ستان وينستون" بخيل دنيء . لماذا يعطيك مزرعته ؟

أجابها وهو يرفع كتفيه بلا اكتراث:

- لأنني ابن أخته.

- هل "ستان" خالك؟

- نعم .

رمشت "تريشيا" بعينها وأطلقت سبابا . إنها تكره الرجل العجوز .

www.elromancia.com

ابتسم "شوك".

- لاتتضايقي . كنت انوي أن اقول : إنه رجل ساذج كريه .

- تنوي فقط ؟ الا تعرف "ستان" ؟

- لا في الحقيقة . لقد غادر "تكساس" عندما كنت طفلا ولم اره منذ ذلك الحين.

- وهل انت القريب الوحيد الحي له ؟

- لا . لدي اسرتي ايضا في "تكساس" .

هزت "تريشيا" راسها .

- "ستان" لديه بعض الاقارب، لكنه ترك لك كل شيء. إنه الرجل الذي لاتعرفه والذي كنت تنوي أن تقول عنه إنه كريه .

- الأمر ليس بسيطا ايضا .

لم يشجع صوته القاسي "تريشيا" على الخوض في الموضوع اكثر من هذا ، إنه لن يقول اي شيء آخر . بدأت الفتاة تضحك.

قالت متهكمة :

- اقارب ! هذا القرد العجوز لديه عائلة!

سألها "شوك" الدهش من هذه السعادة:

- لماذا ينتابني إحساس مفاجئ بانني افتقد شيئا ما .

- إنها قصة قديمة ومعقدة جدا . لكي الخص لك الأمر، إنه قبل موت خالك بالنتي عشرة سنة اعلن خالك وابي- الحرب- لشعورهما بالغيرة. بين آل "مونتيجو" وآل "كابولت".

تذكرت "تريشيا" في نفسها الطاقة غير المعقولة التي أظهرها الرجلان حينما رغبا في الانتقام.

هزت راسها قبل أن تواصل حديثها :

- أما أنا فاعشق ركوب الحصان بين المزرعتين لمشاهدة الأمهار تلهو في مزارع خالك . عندما رآني ذات مرة شحب وجهه . قفز على حصانه الكاسر الأسمر وطاف به مثل المجنون وهو يطلق صرخات غاضبة . أحد مساوئه هو انه كان يكره أن يطا اي فرد من آل "رايلي" بقدمه ارض

"وينستون" والأمر كذلك ايضا بالنسبة لنا ! إنه لم يتزوج قط ولم ينجب أطفالا . لم يكن لديه أسرة . ولكن هناك آل "وينستون"، وأحد أفرادها ...

- لست من آل "وينستون" . بل أنتمي إلى آل "كولبي" .

قالت وهي تحدق بعينيها إلى حذائه المغبر بالتراب :

- لكنك تحمل دم "وينستون".

ثم أضافت وهي ترفع حاجبها :

- كما أنك وضعت قدميك في وسط "جرين هيلز".

كانت تريد أن توحي له أنه ليس لديه ما يفعله هنا، لكن "شوك" لم يشاركها هذا الراي وقد نوى أن يثبت لها ذلك . أعاد وضع قبعته بشكل حازم ومشى نحو الباب. والقى عليها نظرة خاطفة من أعلى كتفه وهو يضع يده على معصمها. أحست "تريشيا" بالاضطراب يتصاعد داخلها.

قال "شوك" وهو يلمس حافة قبعته قبل أن يدخل :

- سيدتي.

تسمرت "تريشيا" في مكانها وحملقت إلى الباب الذي انغلق عليها . لقد تجرأ بالدخول عندها دون أن يطرق بابها ! ماذا يعني هذا إذن ؟

استدارت الفتاة حول نفسها وجرت عبر الحديقة لتجتاز الجناح المعاكس للمنزل .

"روزي"! "روزي" ستعرف بالتاكيد . إنها تعرف دائما كل شيء.

كانت "روز" في المطبخ منشغلة بتقطيع الليمون . جذبت الحركة الموجودة في الحديقة انتباهها ورات "تريشيا" تعبرالحديقة وشعرها اشعث . كانت تسير بخطى واثقة وذقنها مرفوع وظهرها مستقيم كما علمتها "روز" تماما . اكتشفت "روز" -لدى اقترابها- الضيق البادي على وجهها . قالت "روز" لنفسها : لابد أن لديها بعض الأسئلة لتطرحها وستفعل كل شيء للحصول على إجابتها .

أدهشت الرائحة المنعشة لليمون "تريشيا"؟ عندما مرت أمام النافذة

وقالت قبل أن تستند إليها .

- يوجد رجل هنا يا "روزي".

أرادت "روز" أن تخشن صوتها، لكنها لم تستطع واضحكت مجهوداتها الفتاة الصغيرة.

- ألم تطئي بقدميك نباتاتي يا عزيزتي ؟

نقلت "تريشيا" قدميها بحرص ثم كررت:

- يوجد رجل هنا .

أجابتها "روز" وهي تهز ضفائرها القصيرة السوداء :

- إذا لم يكن متبقيا إلا رجل واحد فإننا سنختلف .

قالت "تريشيا" بجفاء:

- نحن مختلفان بالفعل . الرجل الموجود هنا راعي بقر!

- يا إلهي ! راعي بقر!

قالت "روز" لنفسها : هكذا إذن لايوجد بالنسبة لـ"تريشيا" إلا نمطان من الرجال : الأولاد المناسبون ورعاة البقر .

تاملت الفتاة وجه "روز" الرائع . كانت متاكدة انه لولا الظروف المأسوية التي صاحبت ولادتها لكانت "روز" قد غادرت "جرين هيلز" منذ فترة طويلة ، لتعيش حياتها. لكنها بقيت . كانت "تريشيا" تعشقها . إنها تتذكر ذلك اليوم الذي أجلستها "روز" فيه على ركبتيها لتوضح لها الفرق بين الأمهات ومديرات المنزل . وتذكرت أيضا الإحساس بالفراغ الذي شعرت به لدى عملها . إن العملاق المدهش الذي مرر أنفه على بابها في مناسبات نادرة كان والدها، بينما المراة ذات اليدين الرقيقتين لم تكن منتمية إلى أسرتها .

قالت "تريشيا" :

- أخبريني بكل شيء عن راعي البقر هذا يا "روزي" .

- إنه يدعى "شوك كولبي".

- أعلم هذا . أعلم أيضا أنه ورث مزرعة "وينستون" منذ متى قابل أبي ؟

أخبرتها "روز" بنظرة حذرة:

- منذ شهرين .

- كيف لم أره من قبل ؟

تنهدت "روز":

- إنه يأتي يوم الثلاثاء كل خمسة عشر يوما .

همست "تريشيا":

- لكن اليوم يوم الجمعة فلماذا أتى؟

- لا أعلم شيئا عن هذا يا عزيزتي .

- لكنني أعلم . كان يأتي يوم الثلاثاء لأن "بادي" لم يرد أن أقابله .

قطبت "تريشيا" عينيها أمام وجه "روز" الهادئ والمبتسم . ثم قالت:

- عم سيتحدثان؟

- أتصور أنهما سيتحدثان عن الأبقار .

قالت "تريشيا" بسخرية:

- بالتأكيد . يالي من حمقاء ! عم يستطيع راعيا البقر أن يتحدثا أيضا ؟

***

- هل رأيت ابنتي ؟

تفحص "باتريك رايلي" المستند إلى مكتبه "شوك كولبي". كان الشاب جالسا في ضوء المكتبة الخفيف.

عندما تحدث "رايلي" عن ابنته أدرك "شوك" أنها مسيطرة على أفكاره. لقد رآها مرة أخرى وأحس بها متعلقة بكل حواسه . لكنه اتخذ حذره حتى لايظهر اضطرابه.

قال مؤكدا:

- رأيت ابنتك بالفعل . كما كان متوقعا.

ابتسم "بادي" ابتسامة بسيطة ، قال في نفسه : "هذا الولد ذكي . إنه يمتلك كل المقومات لأن يكون كذلك". ذكره "شوك كولبي" بشبابه . في وقت أن كان "بادي" كبيرا وقويا مثل "شوك"، لكن السنين والمرض

www.elromancia.com

أقعداه على هذا الكرسي المتحرك وابيض شعره. لقد ضعف جسمانيا، لكن ذهنه مازال متمتعا بيقظته وحدته . كانت مصادفة: في المرة الأولى عندما استدعى "بادي" "كولبي" إلى "جرين هيلز" في اليوم الذي كانت ابنته تغيبت فيه عنها . لكنه لاحظ في أثناء التحدث إليه أن نظرات "كولبي" تتجمد عندما يذكر اسم "تريشيا" إنه لايريد أن يكون وسيطا في الزواج و"كولبي" ليس الرجل الذي يخلط بين العمل واللهو. لقد رتب مقابلتهما الأخيرة عندما كانت "تريشيا" تذهب إلى المحاسب . لقد وافق "شوك كولبي" يوم الثلاثاء السابق على إدارة "جرين هيلز" ورأى "بادي" أنه حان الوقت بالنسبة له لأن يقابل "تريشيا" ، لقد انتهت مسؤوليته الآن .

قال "بادي" وهو يعيد قراءة بنود العقد الذي تناقشا فيه معا فترة طويلة :

- أمنحك الحرية الكاملة في تشغيل أو طرد من تريده لإعادة النظام . وسيكون لك الحق -في كل سنة - في الحصول على ٢٪ من الأرباح هذه الشروط تبدو لي مقنعة وعليك أن تغتنمها .

ثم أضاف مع ابتسامة غريبة:

- لكن هناك بعض العقبات .

- هل ابنتك من بين هذه العقبات؟

- نعم ، من بينها .

- هل تفضل أن تدير المزرعة بنفسها ؟

أجابه "بادي" وهو ينفجر ضاحكا:

- يا إلهي . لا. أعطها المزرعة وستحول لك المراعي إلى جنة مزروعةوستقتاد العجول إلى المنزل كحيوانات اليفة. ستعلمها هذا بنفسك. لكن ينبغي ألا تحكم عليها بسرعة . قد تعتقد أنها تافهة لكنها ليست كذلك حتما . إنها تعرف ما تريده بالضبط وما لا تريده . إنها مهتمة باستقلالها وحديقتها لكن عندما تقرر الحصول على شيء فإنها مستعدة لأن تطأ بقدميها كل من يمثل عقبة في طريقها .

كان هذا تحذيرا غامضا أيضا لـ"شوك" . تذكر تعبيرات "تريشيا" عندما أثارت لعنات العجوز "ستان وينستون" ، لقد جعلته يشعر -عن عمد - أنه متطفل من وجهة نظرها .

رد قائلا:

- ينبغي ألا يسبب هذا أي مشكلة . لا أنوي أن أسلب حقوقها.

- ربما لن ترى الأمور من نفس منظورك .. سيهمني أن أعرف رأيك فيها .

أجابه "شوك" بابتسامة غامضة:

- أعتقد أنها أكبر مما قد ظننته.

- إنها في الرابعة والعشرين من عمرها . كان لدي اثنتان وخمسون سنة عندما ولدت وأمها كانت في السادسة والأربعين . كنا قد فقدنا أي أمل في الإنجاب . ثم ..

كان الحزن واضحا في نظرات "بادي" - لكنه تخلص من إحساسه بسرعة .

- ما رأيك أنت ؟

نهض "شوك" وامسك قبعته عبر الغرفة وانحنى على المكتب ليوقع على العقد .

- إنها تعاملني كراعي بقر . ما رأيك في هذا ؟

قهقه "بادي" .

- هذا يعني أنك ستعاني مشقات يا ولدي . أوه ! سيسمح لك هذا بتمضية أوقات سعيدة!

علق "شوك" قائلاً :

- إنني أحترق شوقاً.

سار الرجل حتى عتبة الباب ثم استدار نحو "بادي" .

- سأبدأ الاثنين القادم إذن. إلى اللقاء .

منع الباب المغلق "شوك" من سماع صوت "بادي" الأجش الهامس:

www.elromancia.com

- فالترتاحي يا "ماجي" . إنها ستكون في أيد أمينة.

***

تمتمت "تريشيا" وهي تقترب من الحصان الذي لايزال مربوطا :

- لابد أنك حصان مقدس لدى راعي البقر لأنني لم أر قط جواداً رديئاً مثلك .

على الرغم من هذه الملاحظة الفظة كان صوتها رقيقا ومستانسا.

تفرس الحصان فيها وأذناه متدليتان وتراجع إلى الوراء بقدر ما سمح له العنان لكنه شعر بالماء في الدلو الذي أحضرته وعاد نحوها .

رفعت "تريشيا" الدلو ببطء وتحدثت إليه برقة . أمال الحصان رأسه بغرابة وشرب بنهم .

خرج "شوك" وراها . لما كانت الشمس تغرقها بدت له جميلة وأنيقة على الرغم من إهمالها في زيها . أشعل سيجارة.

رفع الحصان رأسه من الدلو بغريزته وأدار عينيه نحو مدخل المنزل.

تابعت "تريشيا" نظراته : منذ متى وهو يقف في مكانه؟ داس "شوك" بقدمه السيجارة ووضع يده في جيبه . أحست "تريشيا" بانها مترنحة. وقلقة ايضا .

بدا أنه يسأل نفسه عن مكمن البداية في الهجوم على فريسته تفرس فيها بعناية وكانت "تريشيا" تعرف نقط ضعفها فقد كانت بارزة التقاطيع على الرغم من وجهها الفاتن الذي ينسي أي شيء في العالم كله ... ما عدا "شوك" . ربما ...

أدرك "شوك" فجاة الاضطراب الذي كساها . لم تتحرك الفتاة لكنه ارتاب في رغبتها في الفرار من أمامه لكنها لاتعرفه ولايمكنها أن تخشى منه . لا، هذا شيء أخر. مم تخشى؟

أحست "تريشيا" بخوفها . إنها لم تشعر بمثل هذا الإحساس في أغلب الأحيان ولاتحبه ايضا . ما الذي يخيفها ؟ إنه لم يهددها . إنه لم

يلمس إلا يدها برقة . لماذا ترتعد بداخلها ؟ إنه لم يجرحها بعد.

لم تشعر الفتاة بإرادة تفوق إرادتها سوى إرادة أبيها . لابد لها أن تقطع حاجز التوتر القائم بينهما .

قالت بجراة:

- إنه ليس حصانا من مزرعة "وينستون".

أذعن لكلامها وهو يتقدم نحوها :

-لا، بالفعل . إنني جلبته من "تكساس" .

أعلنت "تريشيا" وهي تفكر في "سحاب" وهو حصان قدمه والدها إليها في عيد ميلادها الخامس عشر:

- لدي ايضا حصان مفضل . لم يعد في إمكاني الانفصال عنه.

قال "شوك" مبتسما:

- لايمكنني القول: إنني أحبه حقيقة لكنه حصان جيد ومن الصعب أن أتخلى عنه .

قالت "تريشيا" لنفسها : إنه يبدو حصانا شيطانيا. عدلت الفتاة الدلو لتبتعد عنه قليلا . أمسك "شوك" سير السرج وفكه . ألقى الحصان نظرة عتاب عليه ثم عدل رأسه ودفع "تريشيا" نحو سيده برعونة.

توتر الاثنان. لم يتكلم أحدهما ثم. تلاقت نظراتهما . ثم تراجع كل منهما خطوة إلى الوراء . قفز قلب "تريشيا" في صدرها عندما فك "شوك" اللجام . كانت الفتاة مسحورة بيديه ومعصميه. داعبها لدى مروره وارتجفت وتاهبت للفرار . تسببت رجفتها في سقوط مشطها. انحنى "شوك" بشكل تلقائي ليلتقطه . اكتشف لدى اعتداله شلالاً غير منظم من الحرير الأصفر يسقط حتى خصرها . كاد أن يختنق أمام هذا المنظر . تقطعت أنفاس "تريشيا" تحت تاثير نظراته .

همس:

- رائعة.

www.elromancia.com

تلاقت نظراتهما . ثم استدار الرجل وصعد على الحصان بحركة رشيقة . ثم نهزه برجليه ليحركه.

تابعت "تريشيا" المذهولة بعينيها الحصان والفارس اللذين اختفيا. عندما تلاشت سحابة التراب استدارت الفتاة نحو المنزل . بدا أن الحرارة لها شكل جديد . على الرغم من أن الهواء كان لايزال خانقا إلا انه كان يمكن تنفسه . تاملت الممر الخالي ثم السماء كما لو كانت قد اكتشفت قواهما غير المعروفة .

الفصل الثاني

كررت "تريشيا" للمرة الثالثة :

- لكن ما سبب وجوده هنا ؟

كرر بادي" مرة ثالثة:

- إنه قد أتى لأمور خاصة بالعمل .

كان المطر منهمرا بالخارج لكن لم يكن يوجد أي رعد أو برق.

لم يتغير الصالون مثل بقية المنزل منذ موت "ماجي" . لقد جدد "بادي" فقط الكرسيين المجاورين للمدفأة وتم تغطيتهما بالحرير . كانت "تريشيا" تضع - وقتما استطاعت- باقات من الزهور في الأواني الكريستالية. لكن ديكور منزل "ماجي" كان فخماً ورائعا كعادته.

كانت "تريشيا" تجلس أحيانا في الظلام وتتخيل أصداء الماضي والموسيقى والضحكات التي كانت تعج بها الغرفة. لقد أصبح المنزل فارغاً ويامل في مزيد من السعادة . إذا كانت والدتها على قيد الحياة فهل كانت ستشعر بمثل هذه الوحدة ؟ لم تتوصل "تريشيا" إلى إيجاد حل ولم يعد لديها أي ذكريات. لاتعتبر "ماجي رايلي" بالنسبة لها إلا

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

صورة معلقة على حائط "بادي".

استدارت - أخيراً - نحو أبيها .

- ما نوع العمل الذي يربط بينك وبين "كولبي" ؟

حرك "بادي" كرسيه المتحرك نحو المائدة المنخفضة في منتصف الحجرة . ثم بدأ يبحث عن كلماته .

- أحضري لي كأس شراب .

اعترضت في الحال :

- لقد حذرك الدكتور "هانسن" من الشراب.

- كفي عن أداء دور الأم معي . في عمري هذا أكاد أن أكون جدك وليس أباك.

- إنني مهمومة فقط من أجلك.

لم يستطع "بادي" تحمل نظرات عينيها الزرقاوين . كانت عيناها تشبهان عيني "ماجي" .

قال بفظاظة:

- سأموت عما قريب يا "تريشيا".

لم تخطئ "تريشيا" في سماعها لهذه الكلمات لكنها دهشت بشدة. لقد قبلت منذ فترة طويلة "بادي" على حالته هذه . لقد تعلم ألا يحتاج إلى أحد وأن يعيش وحده مثل راعي البقر.

استطرد قائلا:

- لدي أمور أود تنظيمها ؟ أولا المزرعة من أجلك يا "تريشيا".

فكرت "تريشيا" في أن الأمور هي نفس الأمور دائما . كم كانت تريد أن يداعبها ويهدئها بكلماته الرقيقة لكن بدلا من هذه العواطف كان يعرض عليها أشياء : ملابس وخيول وسيارة وهي في سن السادسة عشرة . ثم المزرعة الآن .

- اعلم يا أبي أنني لست في حاجة إليها .

كانت الفتاة تعلم عدم حقيقة ما قالته . إذا فقدت أباها فإن "جرين هيلز" ستكون هي كل ما تبقى لها "جرين هيلز" و"روزي" . نظرت عبر

النافذة إلى الريف الموحل بسبب المطر لكن ذهنها كان يرى أفضل من عينيها فقد احتفظ بصورة الألوان البراقة في فصلي الصيف والربيع.

لكن ماذا تعرف هي عن الماشية ؟ لقد كانت تمسك الحسابات وتتناقش مع رجال الأعمال وتدفع الفواتير لكنها تشعر بعدم القدرة على الإدارة.

- المزارع الموجودة خلف المنزل تكفيني كثيرا.

رأت الفتاة قسمات أبيها تنقبض تحت تأثير الصدمة .

- أبيع أراضي ؟مواشي؟ أصفي أعمالي التي أفنيت فيها حياتي؟ مستحيل!

قالت "تريشيا" وهي تسرع نحوه :

- سامحني لكنني لاأريد أن أجرحك . أعلم جيدا أنك تعشق "جرين هيلز" . ساعتني بالأمر يا أبي وسيساعدني "مات" في هذا. أرجوك، هذا من أجل الحفاظ على صحتك.

- الجو سينتعش .

- إنك تغير الموضوع .

سألها "بادي":

- أي موضوع ؟

بدا أن الأب قد تعب "تريشيا".

قالت "تريشيا" وهي تصر على أسنانها:

- "شوك كولبي" .

- منذ متى تهتمين بالعمليات الخاصة بالماشية ؟

رفعت "تريشيا" ذراعيها نحو السماء ثم قالت :

- أبي ، ماذا كان يفعل هنا ؟

- أنت عنيدة يا "تريشيا رايلي" . ورثت هذا عن جدتك! تريدين هكذا معرفة كل شيء. تصوري أن "شوك كولبي" من أسرة مشهورة بتربية الأبقار. تمتلك أسرته إحدى المؤسسات المخصصة لهذا في "تكساس" وأعتقد أنه أفضل وكيل لـ"جرين هيلز".

www.elromancia.com

جحظت عينا "تريشيا" . من المحبب أن تمتلك الأرض لكن الموظفين ؟

- وماذا سيصبح "مات قوجن"؟ إنه وكيلك منذ ما يقرب من عشرين عاماً!

قال "بادي" :

- لقد أصبح عجوزاً هو الآخر .

-عجوزا ؟ إن عمره يقل خمس عشرة سنة عن عمرك!

-لافائدة من هذا فالصبية لايتحركون عندما يصدر أوامره إليهم.

لم تشك "تريشيا" في مقدرة "شوك كولبي" على تحريكهم . لكنها تساءلت عن موقفها إزاء وجوده المستمر في المزرعة . أزعجتها هذه الفكرة جدا.

قالت معترضة:

-ورث "كولبي" مزرعة لها شهرة واسعة . لماذا إذن وافق على العمل معك؟

قال "بادي" متذمرا :

- بسبب الخيول. أظن أنه لايعلم عنها الكثير . لم أفهم السبب الذي جعل هذا الولد المنتمي إلى "وينستون" يترك مزرعته . إنه لم يتحدث أيضا بكلمة طيبة عن خاله ولم يعط رايا عن أخته.

- "ستان وينستون" لم يتحدث أيضا بكلمة طيبة عن احد . وهانت تغير الموضوع مرة أخرى .

ثم استطردت وقد بدا أنها تتحدى "بادي".

- هل أفهم من هذا أن راعي البقر هذا وافق على العمل معك؟

- سيبدأ يوم الاثنين.

تركت "تريشيا" نفسها تسقط على وسائد الأريكة. كانت تريد أن تسرع لتغلق الأبواب والنوافذ لكن همس في أذنها صوت ضعيف بان الوقت قد تأخر . لقد وصل العدو إلى المكان ...

***

تفحص "شوك" المكان . كان هناك غرفة رئيسية ومطبخ وحجرتان أو

بالأحرى كوخان وحمام . كانت هذه أول مرة تمطر فيها السماء منذ أن أصلح السقف ، فتح الثلاجة . كان عليه أن يختار بين البيض المقلي أو ساندوتش من اللحم هذا لا يهمه كثيرا فلقد قرر الذهاب إلى مطعم المدينة بمجرد أن يتوقف المطر. أخذ شرابا ودفع الباب المصفر من جراء مرور السنين عليه وجلس على الأريكة البالية لدراسة ملف "جرين هيلز" ثم تركه بسرعة . لم ينظر إلى الأرقام ولكن نظر إلى وجه "تريشيا رايلي" وإلى عينيها الزرقاوين مثل لون سماء "تكساس" في فصل الصيف.

لماذا أسماها في نفسه "السيدة الجميلة" ؟ داعب الندبة التي تزين خده وتذكر الشقراء الأخيرة التي لقبها هكذالكنه لن ينسى أبداً الدرس الذي استخلصه من هذه الحكاية وهو الا يترك عينيه تعكسان ما يريده.

بدت ابتسامة مريرة على شفتيه عندما تذكر ضيق والده في ذلك اليوم الذي ترك فيه المزرعة لايمكن أن يصدق أحد أن "شوك" انصرف من أجل البحث عن ذاته . لاينبغي على أبناء "كولبي" التفكير أو التصرف من تلقاء ذاتهم فليس لهم الحق في أي طموح شخصي لكن "شوك" نفسه رفض البقاء من أجل أن يرى إخوته يتصارعون . لم يعد في استطاعته هو وأخوه الأكبر أن ينظر إلى بعضهما بعضا دون ريبة. حتى المنافسة تولدت بين أخويه الصغيرين . لقد تعاركا بضراوة قبل رحيله بقليل .

أراد "شوك" الهروب والإفلات من سيطرة "كولبي" والمنافسة على المزرعة في "تكساس" . إنه لايتمنى شيئا إلا العيش بشرف ومن قوت يومه وأن يعبر عن ذاته .

لقد توقع "ستان وينستون" نجاحه وتقبل المخاطرة لكن كل هذا لابد أن يدفع ثمنه فإنه بعيد هكذا عن "تكساس" ويوجد على رأس مربط خيل في "فرجينيا" .

اغمض عينيه وانفجر ضاحكا . إنه يجهل كل شيء عن خيول السباق ولايعيرها إلا اهتماماً بسيطاً .إنه يتعرف على الحصان الأصيل عندما

www.elromancia.com

يمتطيه .

لكن مجال اهتمامه الخاص هو المواشي . إنه راعي بقر في الأساس وسيصبح كذلك مرة أخرى ابتداء من يوم الاثنين.

ماذا سيفعل بضيعة "وينستون"؟ إنه قد يخسرها إذا أدارها بنفسه . لم يعد متبقيا أمامه إلا أن يبيعها لكن العرفان بالجميل إزاء "ستان" يمنعه من أن يفعل هذا . على أية حال لن يعترف بهزيمته مبكرا هكذا . إن آل "كولبي" لايستسلمون أبداً . إنه سيترك الآن وكيل المزرعة رالف بورچيس" يتكفل بإدارتها .

هدأ المطر . بحث عن سجائره في جيبه وقابلت يده شيئا ذا شكل غريب . إنه مشط شعر "تريشيا" الذي وقع وتذكر أنه التقطه لكن متى دسه في جيبه؟

شقراء أخرى . جس ندبته مرة أخرى . لم يكن يريد منذ خمسة عشر عاما إلا حريته لكنه يريد الآن هذه الشقراء بشدة كما لم يرد أي فتاة من قبل .

***

ألقت "تريشيا" ضفيرتها إلى الخلف وجلست إلى مكتبها . يالها من وثائق قديمة ! أمسكت الحاسب الآلي وبدأت عملها . كانت الغرفة نفعية جداً . كان الريف يظهر جليا من خلال النافذة. كانت الملفات مكدسة منذ خمسين سنة . جمع "بادي" موسوعة من الوثائق التي يمتلكها والتي لم تعرها "تريشيا" أي اهتمام.

كانت "تريشيا" تشغل الكرسي الوحيد . لن يتأخر الموظفون أبداً . استخدمت الفتاة مرسلاً ومستقبلاً إذاعياً للطوارئ واستخدمت أيضا تليفوناً يرن نادرا .

لمحت فجأة اقتراب الكرسي المتحرك وسمعته يجتاز المنعطف المؤدي إلى المكتب واصطدم بالباب . ثم مر من عتبة الباب بعد عدد من الطرقات والمحاولات الفاشلة.

قالت "تريشيا" دون أن ترفع رأسها:

- ساشتري لك جهازاً لتحديد السرعة.

تذمر "بادي" وهو يتوقف :

- هذه الآلة عجيبة!

انتظر لحظة ثم تنهد إزاء رد فعل "تريشيا" الساكن . انفجر غاضباً إزاء عدم تحركها .

- هل ما تفعلينه مهم؟

أنهت "تريشيا" حسابها ودونت النتائج.

- إذن هل عملي كله ليس مهما؟

لم يعلق "بادي" على هذه الملاحظة ثم قال آمراً :

- اصطحبيني إلى طريق "ترويه بورن".

أغلقت "تريشيا" ملفاتها . كانت تعلم أنه يحتاج إلى الخروج من وقت لآخر.

- هل يوجد سبب خاص لذهابنا إلى هناك؟

- هناك قطيع من الماشية أود فحصه.

قالت بسعادة:

- في يوم ما يا أبي سأطرح عليك سؤالا بسيطا وستعطيني إجابة بسيطة .

أبدى "بادي" تذمرا . ساعدت "روز" "تريشيا" على وضعه في العربة "الچيب" القديمة. اتجها نحو المرتفعات الزرقاء عبر طريق أرضي . كان الجو جميلا والهواء ينعش وجه "تريشيا" . سلكا في النهاية طريقا مفتوحا بين بعض أشجار البلوط . حاولت "تريشيا" أن تتجنب الهزات . فرملت السيارة في أعلى الهضبة فلقد وصلا .

سألت والدها :

- أين نحن الآن ؟

- نبحث عن "كولبي".

توترت الفتاة وأدركت أن هذا هو السبب الحقيقي لخروجهما . إن فكرة رؤيته مرة أخرى تصيبها بالجنون لقد استلم عمله منذ ثلاثة أيام

www.elromancia.com

ولقد لمحته بصعوبة لكنه موجود دائما في أفكارها . لماذا تشعر بهذا الخوف الممزوج بفراغ الصبر؟

تذمرت الفتاة:

- "كولبي" .

وضعت يدها كواق على عينيها وتفحصت الأفق ، لمحت مجموعة مكونة من ثلاثة رجال وانطلقت بالسيارة.

سألها "بادي":

- هل رأيته؟

- رأيت قبعته . لنأمل أن يكون تحتها .

لم تخطئ الفتاة . كان "ويلي فوجان" ابن "مات" واقفا بالقرب من الشاحنة بالقرب من "شوك" الممتطي فرساً أغبر كان يقف أيضا "سام باكر" . أشار "شوك" إلى القطيع وهز "سام" رأسه .

ثم وضع فرس "شوك" في الاتجاه الذي أشار به عليه .

كانت "تريشيا" تضع يدها بخفة على ناقل سرعة السيارة . حذر صرير السيارة الشديد "ويلي" الذي اندفع نحو السيارة الجيب بجانب "بادي" .

كان في العشرين من عمره وله جسد عامل قاس ووجهه نضر قال:

- تحياتي يا "تريشيا" . صباح الخير يا سيد "رايلي" .

ابتسم الجميع وساعد "ويلي" "بادي" على الجلوس على كرسيه . إنه شخص يعمل بسعادة .. يالله من أمر مريب ...!

استدار "سام" نحوهم وهو يضحك.

— هناك رفيقة جديدة يا رئيسي . إنه يكاد يطير فرحا منذ أسبوع.

أصبح "ويلي" مثل البنجر الأحمر واقترب من "بادي" . بما أنه ابن لـ"مات" الذي تربى في "جرين هيلز" فقد تحمل المزاح دون أن يقطب حاجبيه . ألقت عليه "تريشيا" ابتسامة تعاطف جعلت وجنتيه تحمران خجلا ثم نظرت إلى "سام" . ابتعد القطيع الأسود من أمام صدر

الحصان العريض .

سألت:

- ماذا حدث يا "ويلي" ؟

أجابها وهو يدفع الكرسي نحو "سام" :

- يوجد عجل مريض . سيفصله "شوك" عن العجول الأخرى حتى لا تصاب بالمرض.

اكتفى "بادي" بأن يقول :

- "سام" ؟

كان هذا كافيا فلقد فهم "باكر" .

قال وهو ينفث دخانه :

- إنه شخصية طيبة . سيتفق الجميع في النهاية مع بعضهم البعض.

كانت "تريشيا" تجلس متصلبة على غطاء السيارة وهي ترى ما يجري أمامها : الرجل والفارس يعملان معا . سيتم فصل العجل المريض قريبا .

ثم أبعد الحصان "أفاق" عن العجول الأخرى . تابع "شوك" الحيوان بعينيه . أحست "تريشيا" بقدرته على إنهاك العجل في السباق . لا لشيء إلا لإثبات سطوته . رأته وهو يحرك شفتيه عندما كان يتحدث إلى الحصان . كان اللجام مفكوكا. كان الحصان "أفاق" يعلم حرفته تماما .

ثم بدأت تتأمل "شوك" . كان مسترخيا تماما . لم يحاول "شوك" اللحاق بالعجل بأن يربطه بحبل لأنه لم يحاول الهرب إذا أراد اللحاق برفقائه - وهذا محتمل - فسينطلق الحصان "أفاق" كالسهم وسيقطع عليه الطريق. إن الحصان يصل إلى أي مكان يذهب إليه في نفس الوقت الذي يصل فيه "شوك".

حاول العجل الهروب من مصيره أكثر من مرة . توجه العجل مع الحصان.

تابع "شوك" حركات الحصان . كانت "تريشيا" تحلم.

فتحت عينيها ورفعت راسها . وطئ "شوك" الأرض بقدميه وتفرس فيها : كان "سام" و"ويلي" من خلفه قد انتهيا من ربط العجل . خلع قبعته ومسح جبهته . تلاقت نظرات "تريشيا" مع نظراته التي بدت تخمن كل شيء وتاخذ كل شيء دون أن تعطي أي شيء . قالت في نفسها :

"لا، إنها تعرف هذا النوع من الرجال ولن تندم! لكنه جذاب." أرادت أن تعرف إحساسها في أثناء طيرانها لكنها قد جازفت من قبل .

وكانت تسأل نفسها عن إحساسها وهي مربوطة على طريق السكة الحديدية لدى مرور قطار . لايمكنها المخاطرة بنفسها في هذا المشروع . إن "شوك كولبي" ليس إلا قطارا مندفعا بكامل سرعته .

تقدم نحو العربة الچيب وأشعل سيجارة حثته غريزته على الحذر.

- إنه موجود على أرضها .

- لون وجهك مكفهر . إنك تحترقين في الشمس .

كان هذا خطا . لايرجع احمرار "تريشيا" إلى الشمس . تامل قسماتها المتحركة بسبب أحاسيسها المختلفة : الرغبة والإدراك والإثارة والخوف. تساءل عن سبب رد فعلها هذا. رفع "سام" و"ويلي" العجل المريض إلى الشاحنة.

طمانها قائلاً :

- لن نلحق به أي أذى . إنه مريض . لن نتركه يصيب العجول الأخرى بالعدوى .

- هل هم في حاجة لأن يربطوه هكذا؟

أدارت عينيها عن الحيوان الذي خار ولمحت ندبة "شوك".

قالت :

- وجهك ، الندبة.

تجمدت نظرات "شوك" كسر سيجارته بغضب . أرادت "تريشيا" أن تخترق حاجز أسراره ، شعرت بالخوف. ثم تلاشى إحساسها. رفع

"شوك" ضفيرتها وداعبها برقة بدت في عينيه .

همس:

- لابد أن تتركي شعرك حرا.

أرجعت ضفيرتها إلى الخلف.

- لماذا أتيت للعمل في "جرين هيلز"؟

- ولم لا يا سيدتي الجميلة؟

ثم داعب خدها وقال :

- وجهك جميل ورائع حقيقة.

قالت وهي تلقي نظرات باردة عليه :

- وأنت . لم تجب عن سؤالي.

ثم أضافت وابتسامة تعلو جانبي شفتيها:

- ستتفاهم أنت ووالدي تماما فإنك متشابه معه جدا.

لم يعتبر "شوك" ما قالته مجاملة له لأنها آتية منها .

***

تمددت "تريشيا" على العشب النضر . ارتفعت سحابة حمراء من القرص الأحمر الكبير الموجود خلف المرتفعات . تاخر فصل الصيف . لكن الخريف سياتي بعده . كانت "تريشيا" تحب تغيرات الفصول هذه. قالت في قرارة نفسها :

"لكن انتبهي ! لاتتمني مرور الوقت ..." أخرجها صوت أوراق شجر متساقطة من أفكارها . رأت مجموعة كبيرة من العشب تختفي تحت أسنان الحصان . "سحاب" . اعتدلت وعقدت ذراعيها .

تمتمت:

- ها هو .

رأت من بعيد "شوك" وهو يمتطي حصانه . اتضحت صورة الرجل وحصانه بوضوح في ظل ضوء الشمس المتوهج.

أقرت "تريشيا" لـ "سحاب" :

- يالله من إحساس ماسوي! كان لابد أن يكون ممثلا.

ابتعد مهرها لكي يرتع في هدوء .

تساءلت "تريشيا" عن الصور التي يستطيع "شوك" ابتكارها: هل

www.elromancia.com

يظهر عن عمد في هذه الأماكن المقفرة والبعيدة دائما ؟

لقد التقيا قليلا لكن كل مقابلة كانت تخلق توترا من الواضح أنه لم يتغير أي شيء في "جرين هيلز" منذ وصوله فكل واحد متمسك بمكانه .

كان "شوك" و"بادي" يتحدثان في أغلب الأحيان معا في المكتبة وكان يترك تعليماته إلى "تريشيا" مكتوبة على ورق .

لقد تغير "بادي" نفسه . لقد أبدى حماسا جديدا . كان هناك وميض يتلألأ في عينيه عندما كان "شوك" يدخل عليه إنه لم يكن بشوشا قط مع "تريشيا" كانت تتألم لذلك فهي تعرف أن "شوك" لايحاول اكتساب عطف والدها لكن هذا الأخير يمنحه هذا العطف بشكل تلقائي .

رأت "شوك" وهو يقترب ومن ثم نهضت .

قال وهو بعيد عنها إلى حد ما :

- تعالي هنا .

تسمرت "تريشيا" لدى سماعها النبرة أكثر من الكلمات نفسها .

- لاتحاولي الوصول إلى حصانك فلن تصلي إليه .

اجتاحها الخوف . تصل إليه؟ حملق "شوك" إلى شيء موجود خلفها أدارت رأسها بفطنة . شهقت لما اكتشفت ثور "بادي" .

كان الحيوان الأسود قريبا جدا ورأت نظراته المتوحشة المسلطة عليها ورأسه المنخفض .

- كيف .. ماذا يفعل هنا ؟

- تعالي يا "تريشيا" . ابدئي بالمشي . لاتجري . تعالي على يساري وسنخرج من هنا .

- ولكن "سحاب"...

- لاتقلقي عليه .

بدأت تمشي دون أن تبعد عينيها عن الثور . جذبت حركتها الأولى انتباهه . حك الثور الأرض بغضب بعد ثلاث خطوات قامت بها ..

توسل "شوك" إليها :

- هيا يا "تريشيا".

رفعت عينيها نحوه ورأى "شوك" الخوف فيهما .

- خطوة خطوة يا سيدتي الجميلة ، هيا .

سارت الفتاة كالإنسان الآلي.

- إذا ثار فانتظري حتى الثانية الأخيرة ثم ابتعدي عن طريقه والقي بنفسك على الأرض.

مدت ذراعيها حتى وصلت بالقرب من "شوك" حتى أمسكها . كان معصمه جامدا وشعرت بألم. في اللحظة التي رفعها "شوك" على سرج الحصان ثار الثور . رحل الحصان "آفاق" بسرعة.

قال "شوك":

- إلى الحصان وبسرعة.

امتطت "تريشيا" "سحاب" ورحل الفارسان والثور في أعقابهما.

صاح "شوك":

- هل سيتمكن حصانك من قفز السور؟

قالت "تريشيا" وهي تضحك:

- سنعرف هذا فورا.

اجتازا الحاجز معا . أصبح الثور في الجانب الآخر وسط عاصفة من التراب . كانت "تريشيا" تضحك دائما .

قالت متعجبة :

- حسنا! لقد أفلتنا باعجوبة !

وطئ "شوك" الأرض بقدميه واقترب منها وانتزعها - بوحشية - من على حصانها .

- هل تستمتعين هكذا؟

لم ير "شوك" قط امرأة تنتقل من شعور إلى آخر هكذا بمنتهى السرعة . لقد حل إحساسها بالإثارة محل إحساسها بالخوف .

- هل تفضلين دائما اللعب مع الموت ؟

قالت وهي تشهق :

- أولا من وضعه في هذا المرعى ؟ إنه يوجد دائما في المرعى الشمالي .

- أنا الذي وضعته . لن تتنزهي اعتبارا من الآن على ظهر الحصان

www.elromancia.com

دون أن تخبريني .

قالت ساخرة:

- هل أعتبر هذا أمراً ؟

- يجدر بك أن تطيعيني .

رمقته بنظراتها . أحس أن المضايقات التي توقعها "بادي" قد بدأت . لقد حاول حتى هذه اللحظة ألا يطا بقدميه مجالها على الرغم من أنه لايؤيد بالفعل طريقتها في الحساب ليس لديه اي شيء يلومها عليه .

قالت وهي ترفع قبضة يدها مهددة:

- ليس لك أن تعطيني أوامر . لا أعمل في خدمتك .

قال والضيق والسعادة باديان عليه في نفس الوقت :

- لو كنت في مكانك لفكرت في ذلك مرتين .

أدركت فجاة أنها تهدد رجلا قادرا بالفعل على أن يوجه إليها ضربة. بدلا من أن تضربه على وجهه أطارت قبعته . ثم ظلت ساكنة منتظرة ما سيحدث . كيف تمكنت من أن تبدو حمقاء وتثير راعي بقر غاضبا؟

وقعت نظرات "شوك" على شفتيها . أمسك ذقنها . إنها اللحظة التي انتظراها منذ أول مقابلة لهما . ذاب الاثنان في قبلة طويلة بعد أن حرر "شوك" شعرها المجدول على شكل ضفيرة . استسلمت الفتاة لهذه القبلة الطويلة.

مرر "شوك" أصابعه في شعرها وتاه وسط عطرها الفواح . قال لنفسه :

" إن الوقت مازال مبكرا." لكن هناك عاطفة مفاجئة تجتاحهما .

قالت بصوت أجش:

-"شوك" ؟ ..."شوك"...

فكر"شوك" في النساء الأخريات اللاتي يرغبن في اللحظات الحلوة.

لم تترك "تريشيا"نفسها قط هكذا ولم تستسلم من قبل مثلما حدث مع هذا الرجل . قالت لنفسها : إن الساق المكسورة تلتئم في النهاية ولكن ماذا عن القلب المكسور؟

أحس "شوك" بالخوف البادي في عينيها جذبته نحوها لكنها تشعر بالخوف.

أجبرها على النظر إليه .. لقد قرأ في عينيها عاطفة جامحة .. ممزوجة بالخوف إذا لم ترد أن تعطي نهاية لها فإنه سيتكفل بهذا .

- لا يا "تريشيا".

تمتمت ببعض الكلمات غير المفهومة.

قال لها :

- هذا يكفي!

ثم لطف صوته قائلا:

- قلت لا يا "تريشيا" .. لا .

لقد حملها إلى النقطة التي جعلتها تعرض عليه نفسها والآن يدفعها. اشتد احمرار وجهها تحت اثر الغضب الذي تصاعد داخلها . أرادت أن تخلص نفسها وتضربه بقبضة يدها وقدمها . لا يهم ! المهم أن تضربه حتى تلحق به الأذى .

لكنه أثار رد فعلها . عندما كفت في النهاية عن المقاومة تركها . نهضت واقفة ونظرت إليه بازدراء.

قالت :

- يمكنك الذهاب إلى الجحيم.

اتكا "شوك" على العشب وأمسك قبعته ووضعها على ساقه قبل أن يرتديها مرة أخرى .

- وأنت يمكنك الذهاب حيثما أعطيك الإذن.

لما كان الحقد يفترسها مثلما كانت العاطفة تفترسها في اللحظة السابقة استدارت ثم رحلت :

لاحظ "شوك" أنها لا تهتم باي حياء اصطناعي . إنها لم تكلف نفسها مشقة ضبط شعرها أو هندامها . رفعت ذقنها وذهبت بخطى متزنة نحو فرسها.

أعجب "شوك" بعزة نفسها . ثم تبعها بعينيه عندما ابتعدت وشعرها الأشقر أشعث . عندما توارت عن نظره سقط على الكلأ ولام نفسه على قسوته معها .

الفصل الثالث

أحست "تريشيا" بالتعب . لم تستطع أن تجمع أفكارها . كان جسدها كله يؤلمها . لم تشأ جفونها المتورمة أن تتفتح . ندمت- وهي تجر نفسها إلى الطابق الأسفل - على أن حالتها ليست نتاج الإفراط في الشراب . لقد كانت هكذا - على الأقل - لن تشعر بالندم على قضائها عدة ساعات منغمسة في الاستمتاع بالشراب ! ترنحت حتى ذهبت إلى المطبخ.

- هل تنامين واقفة يا عزيزتي ؟

أوقفها صوت "روز" ثم تقدمت نحو رائحة القهوة المنعشة.

تمتمت :

- صباح الخير يا "روزي".

قالت "روز" محددة وهي تلمع براد الشاي:

- إنها الواحدة والنصف .

ثم أضافت وهي تلقي بنظرة قلقة على النافذة حيث يظهر وميض ضارب إلى الخضرة في السماء الشاهقة:

- فترة بعد الظهيرة تعلن عن نفسها . هناك زوبعة هوائية .

فتحت "تريشيا" عينيها . بدت لها الجدران الزرقاء والبيضاء ترقص من حولها .

- أحاول العثور على نفسي لكن الأمر صعب ! "روزي" ؟ هل الأمر جيد هكذا؟

وضعت "روز" ممسحتها وهي تتنهد ، قالت متذمرة:

- لا يمكن أن يستمر الأمر هكذا يا "تريشيا" . في أي ساعة نمت هذا الصباح؟

الساعة التاسعة ؟ الساعة العاشرة ؟ ستمرضين إذا قضيت عشرين ساعة مستمرة في العناية بوالدك؟

- ثماني عشرة ساعة فقط!

- آه ! ياله من عمل جيد!

- حسنا ، اتفقنا ، تسع عشرة . لنقسم الكمثرى إذن إلى نصفين.

- لن نقطع أي شيء على الإطلاق ! لسنا في سوق حتى نتشاجر هكذا فيما بيننا !

ابتسمت "تريشيا".

- لحسن الحظ أن هذا لن يكون مجديا بالنسبة لنا .

رفعت "روز" المهزومة ذراعيها نحو السماء . ألقت "تريشيا" الممسكة بقدمها في يدها نظرة سريعة على كومة الرسائل التي أمسكتها وانصرفت .

قالت قبل أن تغلق الباب :

- ساقضي اليوم في المكتب .

أجابتها "روز" المتذمرة:

- والأسبوع القادم في المستشفى . ربما يمكنك هكذا أن ترتاحي قليلا.

توقفت "تريشيا" أمام باب الصالون وألقت نظرة خاطفة عليه .. لقد فقدت بعض الزهور تويجاتها.

www.elromancia.com

توقفت الفتاة أيضا عند أسفل السلم لتستمع إلى ما يجري خلف باب "بادي" . تناولت رشفة من القهوة وكشرت : إنها تحتوي على سكر كثير ولبن غير كاف . ثم أحست أن وجوده الآن يعتبر تطفلا . تزايدت نبضات قلبها وحبست انفاسها .

هل هذه مرجعه الخوف أو الإثارة ؟ إن هذين الإحساسين - في ظل وجود "شوك" - لا يمكن الفصل بينهما .

لمحته "تريشيا" وهو منحن على درج خزانة الملفات . كان يدير ظهره لها. قطبت "تريشيا" عينيها وتمنت أن يتبخر عندما تفتحهماكان هذا جهدا ضائعا!

فتح "شوك" ملفا وتفحصه.

سالته بنبرة مهذبة :

- هل تبحث عن شيء؟

أحس "شوك" بنظراتها المصوبة على عنقه . ركز اهتمامه على الأوراق التي يتفحصها .

قال مصححا :

- من الأحرى أن أبحث عن إنسان.

قالت ساخرة:

- أشك في أن تجده في هذا الدرج.

كان صوتها مازال يغلب عليه النوم . كان لهذا أثره على "شوك". قبض على أسنانه ونظم الملف ثم نظر إليها من أعلى كتفه. كانت ترتدي ملابس بيضاء وهناك مساكة تحتفظ بشعرها الذي ينسدل حتى خصرها .

كان واضحا أنها استيقظت من نومها منذ فترة وجيزة .. اعتدل الرجل وهو يتنهد تنهيدة طويلة ليستعيد بها نفسه .

تلاقت نظراتهما . افتتنت "تريشيا" لذلك وتولدت عاطفة بداخلها.

كيف أمكنها أن تشعر بهذا الإحساس؟ لقد مر أسبوع على لحظة الحماقة هذه التي أحست فيها بالذل بين ذراعيه . لقد مرت سبع ليال طويلة من الاضطرام المر والملتهب بعاطفة لم تتشبع. لعنت "تريشيا" هذه اللحظة.

قال "شوك" لنفسه وهو يلاحظ مراحل هذا الصراع الداخلي: " إن وجهها المعبر جدا يفصح عما داخلها تماما لكن الازدراء أغضبه وأثاره واندفع للهجوم عليها .

- هل قررت أن تتركي سريرك اللطيف؟

أغضبتها هذه اللهجة التهكمية لكنها لم ترد أن تظهر أي شيء أمامه.

كررت قولها :

- هل تبحث عن شيء؟

- فكرت أن أذهب للتفتيش في حجرتك . وكدت أن أسقط فريسة لهذا الإغراء .

- حقا؟

ارتعدت يداها وقلبت قليلا من القهوة . وضعت قدحها وأرجعت ارتعادها إلى التعب . لقد رفضت أي تفسير آخر .

- ماذا تريد بالضبط ؟

- ملف الموظفين.

كررت قوله بنبرة مضطربة:

- ملف الموظفين .

دلكت جبهتها ثم مررت أصابعها في شعرها . كانت "روزي" محقة : لا يمكن أن يستمر الحال على هذا المنوال .

لقد قرأ "شوك" هذا التعب في عينيها واكتشف به جرحا عميقاً تدمي النفس له . ظن "شوك" أن ما حدث هو المتسبب فيه . أتعبه شعوره

www.elromancia.com

بالذنب .

توقع مواجهة عنيفة وقد فضل هذا على العذاب الصامت . ابتعد عن خزانة الملفات وأمسك ذقنها ليجبرها على النظر إلى وجهه .

تمتم قائلا:

- أنا متاسف .

استدارت "تريشيا" حتى لاتفكر أمام هذه المصداقية الرقيقة . تذكرت أنه قد يصبح باردا في اللحظة التالية . تخلصت من مسكته وادارت ظهرها له .

- لماذا ؟

أمسك كتفيها ودهش لعاطفته التي شعربها :

- كنت قاسيا بعض الشيء معك في الأسبوع الأخير . لم يكن يجدر أن...

تمتمت بنبرة مريرة:

- بالفعل ! لم يكن يجدر بك أن ... أن تشعر بالعاطفة نحوي وقررت أن تكابر. الناس كلها قد ترفض مرة او مرتين لكن لايموت أحد لكن هذا لايمنع من النوم!

قال منفجرا:

- قولي هذا للآخرين !

لقد شعر بالذنب ناحيتها لكنه نادرا ما يعبر عن اعتذاره. لقد دفعه موقف "تريشيا" إلى بعيد :

- لم تتمكني من النوم وهذا واضح . تبدين شاحبة اللون.

- وهل تعتقد أن هذا بسببك ؟ يالك من شخص متعاظم بنفسه! إنك لاتفكر إلا في نفسك الصغيرة ؟ صحيح أنني لم أنم لكن هذا لا اسميه أرقا .

زعزعت حدتها "شوك" لكنه راى انها تكذب . لايوجد شخص آخر في

حياتها بالتاكيد ! لكن ... قبل أن يتمكن من التحكم في نفسه ضرب الدرج بركلة من قدمه وانغلق الدرج محدثا صوتا معدنيا.

انتفضت "تريشيا" على أثره.

أمرها "شوك" :

- توقفي !

- ماذا ؟

- عن الانتفاض . إنك تنتفضين كثيرا .

- إنك تخيفني . إنك تخيفني كثيرا .

استدار "شوك" نحو النافذة . لم يعد يرغب في رؤيتها أو يشتم عطرها .

تصاعد التوتر في هذا الصمت المخيم مع تصاعد العاصفة التي تهب في شهر سبتمبر.

- كيف نتبادل العواطف وبيننا إحباط وغضب ؟لابد أن يضع أحدنا نهاية لهذا . أنا متاسف لانني عاملتك بوحشية هكذا.

لم يكن يجب أن يتسرب هذا التصريح إلى قلبها هكذا. أغمضت عينيها كما لو كانت تريد طرد الألم واقنعت نفسها بانه لايعرف شيئا عن الحب .

إن العاطفة أحيانا ما تكون محبطة وثائرة أرغمت نفسها على الابتسامة .

- هل أنت غاضب مني ؟ لا أرى سببا لهذا .

استدار إليها وهو عازم على ألا يشتت نفسه في مفترق الطرق . لقد آن الأوان ليتلاشى هذا التوتر .

- هلا بدانا التحدث عما حدث في هذا المكتب ؟ وبالمناسبة يبدو أن انشطتك في الليل تشغلك أكثر من عملك.

تلاشت ابتسامة "تريشيا" المرتعدة على شفتيها واحمر خداها .

www.elromancia.com

قالت :

- كنت أنوي التحدث عن مؤسسة "روبال س" التي تمتلكها أسرتك . إنها كبيرة جدا حتى يمكن أن تسع جزيرة "رودس" كلها . أراهن أنك تستخدم فيها جيشا حقيقيا وأنه لديك سكريترة مخصصة نفسها تماما لك .

لم تجرؤ الفتاة على ذكر ملف الموظفين . اعتدل الرجل بالتدريج . كانت تعلم أنها لمست النقطة الحساسة وأحست على أثرها بمتعة متعكرة .

- إنك في "جرين هيلز" منذ ... منذ متى؟ شهر؟ لابد أن تدرك أن هذا لايمنحك الحق في ...

- إن المزرعة مجرد حديقة صغيرة للعائلات يا عزيزتي .

- لابد أن يرن التليفون مرتين تقريبا في الأسبوع في فترة الذروة!

- كيف عرفت هذا ؟ لست في مكانك!

برهنت على كلامها برفع بريد اليوم:

- ثلاث فواتير وكتالوج وحفنة من النشرات . كل هذا لا يهم أية حمقاء!

- هل الحمقاء مجبرة على اداء العمل الذي يدفع لها من أجله ؟

انفجرت فيه قائلة:

- أتتحدث عن المرتب ؟ لن يدفع لي أحد من أجل هذا أو من أجل أي شيء في المزرعة ! إنني أعمل لأنها ملكي . هل تفهمني ؟ إنها ملكي !

صرخت الفتاة ولم تتحكم في غضبها .

صاحت قائلة :

- وليس لدينا ملفات ! إذا أردت أن تستعلم عن شخص أو آخر فإنني أقترح عليك أن تتصرف مثلما نفعل دائما : اعثر على الشخص المراد واطرح عليه سؤالك . الأمر بسيط للغاية

- بعيدا عن طريقتك هذه إذا لم تريدي مرتبا عن عملك فهذا أمر يخصك لكن إذا كنت تفضلين اللهو بالليل والنوم في الوقت الذي لابد أن تاتي فيه إلى المكتب فإنني ساعين واحدا ليعيد النظام إلى هذا المكان .

- ألا يناسبك الوقت الذي أنام فيه ؟ أتعتقد أنه مسموح لك بأن تقول لي : أين يمكنني التنزه بالحصان وتفرض علي حظر تجول؟ ستقول لي عما قريب أين ينبغي أن أنام ومع من !

- كنت أمزح حينما حاولت معرفة وقت نومك ! أو مع من ! لكنني لن أقبل أن تاتي إلى هذا المكتب تبعا لهواك إذا كان لابد أن تعملي لدي .

لكنها لم تنو مطلقا العمل لديه!

رأى "شوك" معصميها يتشددان ويديها ترتعدان . أحس بضعفها لكن الغضب أثارها .

قال برقة:

- "تريشيا" :

- لكنها لم تسمعه . صاحت فيه حينما همس صوت العقل فيها بأن تهدأ:

- تسعى إلى الشجار ، أليس كذلك ؟ أتريدني أن أجلس هنا طوال اليوم وقدماي على المكتب وأقرأ رواية رومانسية ؟ حسنا ، سابدأ اعتبارا من الغد لكن يلزمني ثماني ساعات من النوم . في المرة القادمة التي يشهق فيها "بادي" في منتصف الليل ستجري أنت للعناية به ... أنت الذي ستبقى جالسا على هذا الكرسي القذر ... أنت الذي ستسمعه وهو يختنق .. أنت الذي ستحتفظ بالتليفون على ركبتيك لتسأل نفسك : هل لابد من الاتصال بالإسعاف في هذه المرة أم لا ...؟ أنت الذي...

توقفت عن كلامها وأحست أنها ارتفعت عن الأرض فجاة وتقطعت انفاسها .

www.elromancia.com

رفعت عينيها وهي مشدودة إلى صدر "شوك".

همس بنبرة حاسمة:

- احكي لي .

قالت في قرارة نفسها : "لا، هذا يكفي " . إذا فتحت فمها الآن فلن يخرج منه إلا النحيب . هزها "شوك" من كتفيها برقة.

- مهما كان العبء الذي تحملينه فقد أصبح ثقيلا . ألا ترينه ؟ سيقضي عليك هذا إذا لم تخففيه على الأقل.

تنهدت قائلة:

- إنه ميت .

التزم "شوك" الصمت فترة طويلة . أظلمت السحب المتجمعة بالخارج الحجرة . كان هناك رعد بسيط كشف عن الإحباط على وجه "تريشيا" .

- "بادي" ... إنه عجوز . العجائز يكونون مرضى في أغلب الأحيان . هذا لايعني أن ...

- لا ، إنه ميت . ادفع الفواتير وأنت تعتني بقطيع الماشية وهو يموت في هذه الأثناء.

أغمض "شوك" عينيه واحتضنها . عندما فتح عينيه رأت "تريشيا" فيهما إحساسا غير معروف.

استطردت وهي تكتم نحيبها:

- متأسفة . لا تشفق عليه ولا أنا كذلك.

- ولماذا ؟

- إنه مرهق . لقد حان الوقت.

ارتعدت الفتاة . تركها "شوك" تتكور بين ذراعيه مثل الطفلة المتعرضة للخطر.

تمتم قائلا :

- هيا يا "تريشيا" . تحرري من قيدك.

ضمها إليه بقوة كما لو كان ينفخ فيها الحياة . تركت رأسها على كتفه . أمطرت السماء بالخارج مطرا مدرارا . أسند "شوك" ذقنه على شعرها واستمع إلى المطر المتساقط ونحيبها معا .

بكت "تريشيا" حتى شعرت بالتعب . كانت ستنهار على الأرض بدون وجود "شوك" إلى جانبها . كانت تحتاج إلى هذا الدفء الناعم، إلى هذا الشخص الذي تتعلق به.

هدأت العاصفة وتبعتها أمطار منتظمة وهادئة . كانت "تريشيا" تستمع إليها وهي تتناغم مع أنفاس "شوك".

- أعتقد أنه يتمنى الموت كما لو كانت الحياة تمثل بالنسبة له مشقة يتخلص منها قبل أن يتمكن من اللحاق بأمي . لقد فرض على نفسه هذه العزلة وهذه الوحدة مخصصا وقته كله لـ "جرين هيلز" . لقد اختلفت مشاعره بـ موت "ماجي".

لقد اعتبر نفسه ميتا . أحيانا أرغب في ضمه إلى صدري وأصرخ فيه قائلة: "لاترحل" ! . هذا ...

أنهى "شوك" كلامها وهو يغوص بنظراته في نظراتها .

- هذا يؤلمني . الحزن يسبب المعاناة يا "تريشيا" . إنه قد يجعلنا نبكي . ألم يحدث لنا هذا من قبل ؟!

كان صوته ينم عن التأثر والتعاطف.

- سأفتقده يا "شوك" . إنه لايريد أن يسمع مني هذا . لكنه صحيح.

داعب شعرها وأغمضت عينيها قبل أن تقترب منه ، ماذا عانت "تريشيا" إذن؟

- "تريشيا"، كم ليلة سهرت فيها على راحته ؟

- خمس . خمس ليال طويلة.

وهو أي "شوك" تجرأ على ملاحقتها بتهكماته!

- لماذا لم يدخل المستشفى ؟

www.elromancia.com

- رفض الذهاب إليها .

- وماذا عن وجود ممرضة في المنزل ؟

- إنه لايريدها .

صر "شوك" على أسنانه . هذا العجوز المجنون العنيد ! وماذا عنها ؟ استطردت وصوتها يرتعد من التعب:

- لقد مر الطبيب هذا الصباح في ساعة مبكرة . قال: إن "بادي" سينجو هذه المرة وإنه سيكون بخير في غضون عدة أيام.

قال "شوك" في قرارة نفسه :" وبعدها سيبدأ كل شيء من جديد." عزم الرجل على ألا يتركها وحدها في مواجهة هذه التجربة .. أراد أن يخبرها بهذا .

لكنه تاه في عينيها الزرقاوين .. لم يجد الكلمات التي تسعفه ثم قبل خدها .

استسلمت له في قبلة رقيقة . إنها وحيدة منذ فترة طويلة ولم تشعر بمثل هذه الحلاوة . لكنها لم ترد أن تخطئ في هذه المرة فالوقت مازال مبكرا على هذا ..

رأها "شوك" وهي تبتعد رويداً رويداً وتقيم حاجزا بينهما . كانت منهكة ورفعت يديها إلى وجهها . . . في اثناء اضطرابها . كان يعلم أنه يجد صعوبة في أن يتركها لكن لايوجد أي شيء سهلاً معها.

قال وهو يلمس يديها :

-"تريشيا" ساصطحبك إلى غرفتك الآن .

- ماذا ؟

جحظت عيناها وظلت فاغرة الفم .

ضحك وأرجع خصلة الشعر الساقطة على جبهتها .

- لا تسيئي الظن . إنك في احتياج إلى النوم.

أغلق الباب الذي يطل على الخارج بالمفتاح.

قالت معترضة:

- لكنني نهضت من على سريري في التو .

استشاطت غضبا فهي لم تعتد أن يتخذ الآخرون عدا والدها القرارات بدلا منها . ثم تذكرت فجاة رقته لقد توقعت الإحساس بالم شديد لكن هذا الألم لم يات . لم يدر "شوك" ظهره لها بل أمسكها وشعر بالمعاناة معها .

لم تقل "تريشيا" أي شيء وتقبلت - للمرة الأولى - أن يعتني بها أحد. تركته يمرر ذراعه حول كتفها واصطحبها إلى حجرة المعيشة .

نادى "شوك" من أسفل السلم:

- "روز" ! "روزي" !

قالت "روز" وهي تسير في الدهليز الطويل بسرعة وتمسك قدح شاي في يدها:

- احتفظ بخيولك . كيف حالك يا عزيزتي ؟

- إنني بخير يا "روزي" .

قال "شوك":

- إنها منهكة وستذهب الآن إلى السرير ، أليس كذلك؟

ابتسمت "تريشيا" ابتسامة طاعة . عندما تاهبت لصعود السلم رأت "روز" تستعد للحاق بها .

- إنني بخير يا "روزي" . عودي إلى عملك . شكرا .

تابعت عيونهما "تريشيا" وهي تصعد السلالم . ثم مشى "شوك" مع "روز" التي ذهبت لتنظيم حجرة الصالون . لم يعر "شوك" -حتى الآن- هذه الغرفة اهتماما كبيرا عندما ذهب إلى المكتبة . بدأ يستكشف الحجرة . بليت القطيفة والحرير بمرور السنين عليها . كانت المرآة لامعة واللوحات مدهشة . كان يبدو من خلف الستائر السميكة حمام السباحة ووسط المنزل اللامع بسبب المطر.

www.elromancia.com

تمتمت "روز":

- لتذهب هذه الزهور إلى الجحيم. "تريشيا" تحتفظ بها حتى تموت. إنها تحبها. إنها تثيرلي فوضى كثيرا.

بينما كانت "روز" تتفحص الغرفة وتلملم تويجات الزهور المتساقطة أدرك "شوك" مايضايقها: لايوجد أي صورة في أي مكان. لايوجد أيضا أي صورة في المكتبة: لايوجد صورة لـ"بادي" مع "تريشيا" أو صورة لـ"تريشيا" وحدها أو حتى صورة لـ"ماجي". هل شهدت هذه الغرفة أياما سعيدة؟ أو حفلات مبهجة يحضرها مدعوون كثيرون؟

لايعتقد "شوك" هذا. لما كانت الغرفة مجردة من أي لوحات فإنها لاتمتلك هذا الدفء الذي تعطيه الذكريات إلى الأماكن.

لاحظ "شوك" المضطرب أن "روز" تتفرس فيه. بدا أنها تنتظر الرد على سؤال.

قال بنبرة متعجرفة:

- لابد أن تنام "تريشيا" حتى صباح الغد.

قالت "روز":

- تعرف ذلك وأنا أيضا لكن ماذا عنها؟ أنتظر اليوم الذي تقوم فيه "تريشيا" بعمل المعقول بدلا من أن تفعل ما يدور برأسها فقط.

- اعتباراً من اليوم ستفعل ما أنويه. وفي المرة القادمة التي يحتاج "بادي" فيها إلى أحد نادي علي مهما كان الوقت حتى لو كانت الثالثة صباحاً.

بدأ يتجول في الحجرة ثم اتجه نحو الباب. ألقى عليها نظرة أخيرة وهو يقف على عتبة الباب.

- يمكنك أن تستدعيني إذا وجدت أدنى صعوبة في إبقائها على السرير اليوم. أؤكد لك أنه يمكنني أن أفعل ذلك بنفسي!

ابتسمت "روز" بعد أن رأته يبتعد وانغلق الباب بقوة.

- نعم لكن هل ستعثر على النوم الهادئ بهذه الطريقة؟

لقد أثار شهر أكتوبر الريف بألوانه المؤثرة. اندفعت نسمة خفيفة نحو الحقول.

تركت "تريشيا" الحصان "سحاب" وامتطى "شوك" حصانه بأقصى سرعة. كانت تحلم بالنقاء الساحر لأيام الصيف. توقفت بأعلى الربوة لتتأمل التدفق الغزير للتلال في تسلسل رقيق.

بينما كانت "تريشيا" تلاحظ الأراضي كان "شوك" يتفرس فيها. لم تعد قسماتها محزنة. كان "بادي" محقا في رأيه: إن "تريشيا" تنتقل بسهولة من الضحك إلى العاطفة ومن العاطفة إلى الغضب. لقد نامت جيدا وأتت إلى المكتب وهي مشرقة وبشوش وعملت في الفترة الصباحية ثم اصطحبت "شوك" في نزهة على الخيل بعد الظهر.

كان الجو حارا. عندما تفحصت الحقول بعينيها استدارت نحو رفيقها الصامت.

- ما رأيك يا "شوك" عندما تتأمل هذه المساحة الشاسعة؟

قال مبتسما:

- كم عدد النقاط على هذا السؤال؟

قهقهت الفتاة:

- نقاط! خمس وعشرون نقطة.

ماذا تتمنى أن تسمع منه؟ إن أسئلتها كثيرة وإجاباته تتركها في حالة تفكير. لم يستطع "شوك" أن يطرد من ذهنه فكرة أنها تقارنه بشخص آخر.

قال مبتدئا حديثه:

- أرى مراعي.

تقلصت شفتا "تريشيا". كتم "شوك" ضحكته.

- أرى علفا وآلاف الأسوار التي يلزم إصلاحها. كم نقطة الآن؟

www.elromancia.com

انتبهت قائلة:

- أقل من ثلاثين . لا أشك أن مؤسستك محاطة بآلاف الأسوار الشائكة إذن . وبالتالي لابد أن تكون "جرين هيلز" هكذا .

تحرك الحصان "أفاق" حركه "شوك" بحيث تنظر "تريشيا" وهو في اتجاهين معاكسين .

- لا يمكن أن أسمح لنفسي بأن يعمل موظفون في قطع الأوتاد والحواجز. أداء العمل بالخارج يدر ربحا كبيرا دون وضع مصاريف الشحن في الاعتبار .

- لم تجب عن سؤالي .

- لم تسأليني إياه.

أحست "تريشيا" مرة أخرى أنه يتهرب منها . يحدث هذا دائما عندما تلمح بخصوص "تكساس".

قالت مصرة:

- هل مؤسسة "رويال س" محاطة بالأسلاك الشائكة؟

أمسك سيجارة قبل أن يجيب .

- في أي مكان به أسوار توجد به أسلاك شائكة.

قالت وهي تطلق صفير إعجاب:

- آه ، نعم.

كان يلزم عليها حقا أن تعرف سبب مغادرته لهذه المزرعة المربحة وعائلته ويقيم بـ"فرجينيا" . لقد وقعت في حبه وهذا الاكتشاف ملأها بالخوف . نظرت إليه من الجانب بعينيها اللتين امتلأتا بالدخان .

لقد اعتادته منذ ثلاثة أسابيع. كان الجميع يحترمونه ويقدرونه . كان يتذكر أعياد ميلاد الجميع ويحمل هدايا للزوجات المريضات ويتابع نتائج الأطفال في المدارس.

كان يبدو سهل المعاملة عندما يشعر أحد بمشاكل مادية ولايتردد

في تخصيص بعض وقته لهذا أو لذاك . أحست "تريشيا" حينذاك بقلبها يذوب.

نظرت إليه وهو يدخن سيجارته وهي مفتونة دون أن تترك نفسها للأحلام فقد كان هذا يمثل لها خطورة لكن كل هذا السحر وهذه الأسرار...

ألقى سيجارته . تابع الاثنان بعيونهما عقب السيجارة المحترق . عندما نظر مرة أخرى إلى "تريشيا" قرأت في عينيه سؤالا بخصوص أفكارها .

قالت :

- سواء أكان هناك مصاريف شحن أم لا إلا أنه أصبح واضحا أنك تفضل الأسلاك الشائكة خلف الحواجز الخشبية.

أجابها وابتسامة تكسو شفتيه :

- إنها صفقة طيبة.

- لكنها قاسية .

أرجع "شوك" رأسه إلى الوراء وانفجر في الضحك.

قالت :

- ما العجيب في هذا ؟

- أحيانا أسأل نفسي يا "سيدتي الجميلة" عما إذا لم يكن "بادي" قد التقطك من جانب أحد الشوارع وأحضرك هنا عندما أصبحت فتاة بالغة لأنه لا يبدو عليك أي شيء يوضح أنك كبرت في مزرعة.

- تقصد - دون شك- أنني لا أتصرف مثل راعي البقر .

- أتريدين أن تعرفي ما أراه في هذه اللحظة ؟ الشمس التي تعطي شعرك لون الذهب مع هاتين العينين الزرقاوين اللتين يمكن أن أغرق فيهما .

تمتمت "تريشيا" وهي تقترب منه :

www.elromancia.com

- خمسين نقطة زائدة.

أحست "تريشيا" بنفاد صبر لايمكن مقاومته في الاستسلام لعاصفة حماقتها .

أحست أنها تنهار تحت مداعباته الملحة لكن "شوك" ندم لأنه لاحقها في هذا الطريق المنحرف. قاوم حتى يطرد اندفاعه نحوها . ثم أدرك فجأة أنها تلاحظه.

- بمن كنت تنوين مقارنتي ؟ هل ستخبرينني بما ينبغي أن أتفوق عليه؟

تمتمت "تريشيا":

- "بادي" .

قال مصرا :

- ومن أيضا ؟

- "ديريل".

كرر "شوك" وهو يترك حصانه يبتعد قليلا :

- "ديريل".

- ينبغي ألا تسال .

قال وهو ينطلق بـ"آفاق" بسرعة بسيطة بينما كانت "تريشيا" تتبعه على "سحاب" .

- حدثيني عن "ديريل".

- ماذا تريد أن تعرف عنه ؟

- من هو ؟ هل هو رفيق حديقة الطفولة ؟ أو كابتن فريق كرة القدم؟ أو الوكيل الأخير لـ"جرين هيلز"؟

أجابت :

- إنه الرجل الذي عشت معه في آخر سنة لي بالجامعة . ينبغي ألا تسالني .

قال وهو ينظر نظرات غامضة:

- وماذا حدث ؟

كانت هذه القصة انتهت منذ سنتين ونصف ومن ثم كانت "تريشيا" تتحدث عنها دون أي معاناة.

- كان طالبا . انتهت محاضراته قبل محاضراتي بعدة أسابيع. عدت ذات مساء وهو يحزم حقائبه . قال لي : إلى اللقاء . حظا سعيدا. ثم رحل .

قطب "شوك" حاجبيه بقلق:

- لم تتوقعي ما حدث.

على الرغم من نبرة الدهشة البادية في صوته فلم يكن كلامه يعبر عن أنه سؤال .

قالت بضحكة مريرة:

- أتوقع ؟ كنت قبلها قد ذهبت إلى "البوتيك" لأختار فستان الزواج ، تخيلت منزلا بحديقة وبه أرجوحة وأطفال . لا ، لم أتوقعه.

- هل كنت تحبينه؟

رفعت كتفيها وحملقت إلى التلال البعيدة.

- أوه ، بدون شك لا. لكنني اعتقدت هذا في ذلك الوقت . إنه ... كنت في أمس الحاجة إلى العواطف .

ثم أضافت وهي تلقي على "شوك" نظرة اختفت منها أي ابتسامة :

- كان هذا خطأ.

مسح بيده على شفتيها . قالت في نفسها : "هل اعتقد أنه مسح ذكرى رجل آخر ؟

- خطأ قد قررت ألا أرتكبه بعد ذلك.

قال بفظاظة:

- لم يكن خطأ . كانت عملية انتحارية مع مجنون . مجنون أحمق

www.elromancia.com

وأناني .

ابتسمت تحت تأثير مداعبته .

- أعلم . لكنني لم أكن أعرف ذلك وقتها . فوضت أمري إلى الله يا "شوك" . في بعض الأحيان كنت أشعر بالشفقة إزاء "ديريل" . لم يكن يعرف ما فقده . كنت مستعدة لمنحه كل شيء وانتظرت القليل في المقابل! كلمات حانية ورقيقة ووجوده بجانبي . ساكون صارمة في المرة القادمة .

- إنني لا أشبه أحدا يا "تريشيا" .

تفرست فيه بعناية .

- نعم ، لكثير من الاعتبارات . لكن يوجد تشابه . فـ"بادي" لديه أسرار لم يتوصل إليها أحد وأنت أيضا . وعندما كنت أعيش مع "ديريل" كان يرفض محادثتي عن حياته قبل مقابلتنا . لم أصر خوفا من أن أكون فضولية . ثم اكتشفت سره في النهاية .

وهو خطبته لـ"بوريا" .

مررت أصبعها على ندبة "شوك" .

- ما سرك يا "شوك" ؟ من ينتظرك في "تكساس" ؟

- الأشخاص الوحيدة التي تنتظرني في "تكساس" هم والدي وإخوتي الثلاثة ، وأختي الصغيرة . لست خاطبا ولا تبحث الشرطة عني . لايوجد شيء في حياتي سوى العائلة والماشية ويمكنهما الانتظار طويلا لأنني لن أعود .

سجلت "تريشيا" هذه المعلومات البسيطة . إنها البداية . رأت رجلين يصلحان حاجزا بعيدا . سألت نفسها : هل يمكنها أن تعلم شيئا آخر عن "شوك" قبل أن ينضما إليهما ؟

سألته :

- هل يعيشون جميعا في المزرعة؟

- آل "كولبي" لايغادرون المنزل أبداً .

- إنكم فريق جيد .

- نعم ، هذا صحيح . أخي "بي جي" متزوج ولديه بنتان صغيرتان . إنهم يعيشون في المزرعة . تتلقى زوجته "فيرنا" الأوامر من أمي . عدد الأطفال ستة أشخاص بالغون . لا يتمتع أحد بالحرية الشخصية في حياته .

على الرغم من افتقارها إلى الخبرة بالحياة العائلية فلم يبد هذا سليما من وجهة نظر "تريشيا" . لحق الاثنان بالموظفين : نهض "ويلي" وحياهما . ظل "بوكر روبينز" منحنيا ولم يتوقف عن عمله .

قال "شوك" مهنئا :

- تؤدي عملك بشكل رائع .

كان "بوكر" صغيرا وجافا . كان يدعى في الحقيقة "فان" لكن قسماته المتغيرة غيرت اسمه إلى "بوكر" . ألقى نظرة من أعلى كتفه .

قال :

- آه ، شكرا . صباح الخير يا "تريشيا" .

أجابته وهي تتبادل نظرة مرحة مع "ويلي" :

- تحياتي يا "بوكر" .

سأل "شوك" :

- كم عدد الإصلاحات التي تمت اليوم .

- هذه الثلاثة . مازال هناك الكثير .

- أهذا يعني يا "بوكر" أنه ينبغي عليك ألا تقيم حفلة في هذا المساء؟ اليوم عيد ميلاد ابنتك الواحد والعشرون ، أليس كذلك؟

أذعن "بوكر" لكلامه وهو يلملم أدواته :

- آه ، بلى .

قال "شوك" وهو ينظر إلى ساعته :

www.elromancia.com

- لقد حان وقت الانصراف عن العمل ، لماذا لاترحل فورا ؟ إنني متاكد أن زوجتك تحتاج إلى المساندة.

اعترض "بوكر" برقة:

- لكن مازال هناك هذا السور.

- ساعتني به مع "ويلي" .

- حسنا ، سانصرف حينذاك.

رأته "تريشيا" وهو يبتعد دون أن يشكره . أدهشها هذا الموقف ولكن بصورة أقل من موقف "شوك" . إن "بادي" لم يكن يفوت فرصة الافتقار إلى الأدب . لكن "شوك" لم ينتظر شيئا .

امتطى "ويلي" الحصان وذهب الثلاثة .. أحس الشاب بضرورة أن يقطع حاجز الصمت المخيم وأضحكهما بملاحظاته الظريفة.

- سيحضرون فرقة موسيقية من أجل هذه الليلة وسيجهزون نصف خروف مشويا. سيتحدث الجميع عن هذه الحفلة سنوات عديدة!

سال "شوك":

- هل ستصطحب "چيسي" إلى الحفلة يا "ويلي"؟

- إذا أردتم ذلك . لابد أن نلتقي جميعا في مكان واحد . لابد أن أساعد أمي في المنزل وسيتاخر الوقت بي .

قال "شوك" ضاحكا:

- يمكنك أن تسرع يا "ويلي" . أما السور فيمكنه الانتظار .

- أوه ، حقا يا "شوك"؟

- نعم أيها الغلام . أسرع قبل أن أغير رأيي.

اختفى الشاب في سحابة من التراب . نظر "شوك" إلى "تريشيا".

- أظن أنه لابد أن تذهبي إلى الحفلة أنت الأخرى ؟ هل تريدين العودة؟

- بالتاكيد سأذهب إليها . الجميع في "جرين هيلز" مدعوون إليها .

ثم أضافت وهي متحيرة بين الشك والغضب:

- الجميع .. بدونك؟

قال بترفع:

- لم أتوقع أن يكون هكذا .

- لكن .. لكنك تعمل هنا ! مثل الآخرين . إنك رئيسه .

- صحيح أنني رئيسه لكنني غريب أيضا .

- كيف استطاع هذا الفظ ، هذا العجوز ... ؟

توقفت "تريشيا" عن تكملة كلامها فجاة . أتى صوت قوي وجهورمن خلفهما .

استدارت الفتاة ورات عجلة تترنح من صخرة إلى أخرى قبل أن تسقط . حاولت العجلة النحيلة جدا أن تقف على أقدامها . استسلمت لوضعها هذا في غضون عدة ثوان وظلت خائرة القوى.

قالت "تريشيا" :

- "شوك" ، افعل أي شيء من أجلها .

جثت "تريشيا" على ركبتيها بالقرب من العجلة . تفحص "شوك" العجلة بعناية. جست يداه الكبيرتان الخبيرتان الجلد الأسود اللامع للعجلة . إذا كان يؤلمها بالمصادفة فقد كان يهدئها بصوته الرقيق . نهض أخيرا ومشى نحو حصانه . وضعت "تريشيا" رأس العجلة على ركبتيها .

سالها "شوك":

- هل حصانك معتاد على الأعيرة النارية؟

- لا أعلم شيئا عن هذا . لماذا؟

قطبت حاجبيها عندما أمسك مسدسه .

- لا يا "شوك" ، لا !

نهضت واقفة بسرعة ثم بادرته بقولها :

www.elromancia.com

- لن تقتلها !

- ينبغي أن أفعل هذا ! إنها لم تشرب منذ أيام.

قالت وهي تمسكه من قميصه :

- في مثل هذه الحالة سنقتادها إلى بئر مياه . هناك جدول ماء على بعد ميل من هنا ناحية الشرق.

- وكيف تنوين اقتيادها إلى هناك؟

لم يظهر الرجل أي ذرة شفقة وأحست "تريشيا" بالخوف يجتاحها .

- ساعود إلى المزرعة وأحضر الشاحنة .. سنضعها بداخلها مثلما فعلنا مع الثور في الصيف الماضي ...

قال وهو يخلص نفسه من مسكتها :

- ستموت قبل عودتك .

- كيف تبدو قاسيا هكذا ؟

بحثت عن حل. فكت لجام حصان "شوك".

صاح فيها وهو يوقف ذراعها :

- ماذا تظنين نفسك فاعلة؟

- ساصطحبها إلى بئر المياه . ولن تمنعني من فعل هذا . لايمكنك إيقافي .

انتزع اللجام من بين يدها :

- ماذا تقولين ! لن تسحبي حيواناً مسكينا شبه ميت من الجوع والعطش على الصخور والتراب ! ستقتلينه هكذا . وأنت التي تحدثينني عن القسوة يا "تريشيا"؟

- أرجوك يا "شوك" . لا !

- استديري وامشي . إذا اعتقدت أن "سحاب" سيغضب فانزعي عنه لجامه حتى لا يتعرقل . إذا أنقذ نفسه فساصحبك على حصاني حيث يمكنه العودة وحده منذ هذا المساء .

- "شوك"...

أخفت وجهها بين يديها لتخفي دموعها .

- اعتني بـ"سحاب" يا "تريشيا".

خفضت "تريشيا" المهزومة ذراعيها. تقدم "شوك" نحو العجلة الخائرة . تقدمت "تريشيا" وهي تترنح نحو "سحاب" ودست وجهها في رأس الحصان قبل أن تخلع لجامه .

قطع صوت الرصاص حاجز الصمت . ارتعدت "تريشيا" كما لو كانت قد أصيبت في ظهرها . ابتعد "سحاب" يجري بسرعة . طارت العصافير من على الأشجار ودوى صوت الرصاص طويلا..

www.elromancia.com

الفصل الرابع

جلست "تريشيا" على الكرسي وحملقت إلى السقف . كان هناك مصباحان يضيئان غرفة "بادي" . طرقت أفرع الأشجار الثائرة بسبب الريح زجاج النوافذ وامتزجت رائحة الدواء برائحة "ما بعد الحلاقة". كان صوت بندول ساعة الحائط خلال ساعات الليل الطويلة لافتا للانتباه لكن "تريشيا" لم تسمعه . كان صوت العجلة يدوي في أذنيها . رأت "شوك" مرة أخرى ... أدارت له ظهرها ...

- فيم تحملقين هكذا ؟

- انتفضت "تريشيا" وتعلقت نظراتها نحو السرير .

- أبي ! استيقظت!

- ما رأيك في هذا ؟ لقد فعلت هذا وحدي!

استرخت الفتاة وابتسمت له تمددت بعد أن ظلت ساكنة بلا حراك فترة طويلة ولاحظت والدها الذي استدار. أتعبه هذا المجهود البسيط.

لكنها لاحظت أنه هادئ ويتنفس بسهولة.

سألته :

- كيف حالك؟

- متعب.

كان العجوز يشعر بالتعب من نومه وبقائه متسمرا في هذا السرير اللعين .. عثر على الساعة الذهبية التي منحته "ماجي" إياها وقطبت حاجبيها .

قال:

- إنها الواحدة .. الواحدة بعد الظهر؟

تمتمت "تريشيا" وهي تحبس تثاؤبها :

- الواحدة صباحا.

لم يكن للكلمة أي أثر لدى "بادي". لماذا هذا الصباح بدون شمس ؟ ولماذا هذان المصباحان المضيئان ؟ أطلق سبابا دالا على إحباطه.

قال في قرارة نفسه:

- لن أفقد رشدي أيضا .

ثم أدرك في النهاية . الواحدة ! الواحدة بعد منتصف الليل . أطلق تنهيدة وهو يحاول تذكر التاريخ.

- أبي ؟ أهناك ما يسوء؟

- ما الذي يمكن ألا يسوء ؟ إنني في الرابعة والسبعين من عمري .. لا يمكنني المشي أو الوقوف . لا يمكنني البقاء جالسا نصف الوقت دون أن أسقط عن كرسي . أختنق عندما أريد التنفس . أيمكنك أن تخبريني عما لا يسوء ؟

كانت "تريشيا" تعرف رد الفعل الذي ينتظره منها .

قال:

- حسنا ، مازال متبقيا أمامك أن تصبح أصلع وتفقد كل أسنانك .

أعدت له قرصين .

قال لها بضحكة مريرة:

- يالك من فتاة يا "تريشيا رايلي"!

وضعت له القرصين تحت أنفه.

- ما هذا أيضا؟

قالت:

- بفتيك وبطاطس مشوية.

- يالك من فتاة ظالمة!

أطفأت "تريشيا" مصباح السرير وعادت إلى كرسيها حيث انطوت على نفسها .

سألها "بادي":

- هل ستخبرينني بما يحزنك إذن ؟ أعتقد أنك تريدين ضرب إنسان ضربات متصلة.

جحظت عينا "تريشيا" . إنه يعرف كل شيء دائما . لقد قضيا حياتهما جنبا إلى جنب وهما يتبادلان بعض التفاهات لكنه كان يخمن دائما أنها تدبر شيئا .

تنهدت قائلة:

- قتل "شوك" عجلة اليوم.

سألها دون أن تبدو عليه أي علامة للتأثر.

- وماذا في ذلك؟ هل هذه جريمة جديدة في "فرجينيا"؟

- لم يكن مضطرا لأن يفعل هذا .

تضايقت "تريشيا" من رد فعل أبيها وابتلعت اشمئزازها وتسمرت بالقرب من النافذة . لقد كان محقا . لقد تصرفت بطريقة شنيعة . لقد تصرف "شوك" بطريقة عقلانية أما هي فقد بدت غير عقلانية إطلاقا. لقد تركت مشاعرها تتغلب على رجاحة العقل . و"شوك" يدير ظهره لها

الآن. إذا كانت فقط لم ...

- هل كنت معه عندما ضرب هذه العجلة بالرصاص؟

اعترفت وهي تخفض رأسها :

- نعم .

- ووبخته على طريقته ، أليس كذلك؟

اعترفت وهي تستند على حافة النافذة:

- شعرت بالخوف من هذا المنظر . لقد اكتشف الآن الجانب السيئ في. لكنني حذرته .قلت له : إن كل الحيوانات بالنسبة لك حيوانات صحية.

استاء "بادي"- من داخله- من "شوك". كان لابد أن يصرفها من المنزل أولا وتذكر "تريشيا" عندما كانت في التاسعة من عمرها حينما كان يجب عليه أن يصرع كلبها المفضل الذي كان يعاني التهاب المفاصل الذي لاعلاج له ، لقد تمسكت بركبتيه وتوسلت إليه أن ينقذ حياة هذا الكلب البائس لكنها استسلمت في النهاية ورمت نفسها في تراب الممشى .

استطرد قائلا:

- يا إلهي ! أين الشراب ؟

اعترضت "تريشيا":

- لا يمكنك أن تتناول أي شراب فالطبيب لايمزح في هذه المرة.

قال "بادي" متذمرا :

- "هانسن" أين هو الآن ؟ إنه في ناديه يشرب كاسا بعد الأخرى ! من هو حتى يمنعني من الشراب ؟

- إنه طبيبك كما أنه غير موجود بالنادي . لقد ذهب إلى منزل "بوكر".

استرخى وجه "بادي" تحت أثر المخدر وتذكر أن "تريشيا" كانت تنوي

www.elromancia.com

المشاركة في الحفلة المقامة على شرف "اليس روبينز" . نظر إليها فوجدها ترتدي قميصا أزرق يكشف عن كتفها وبنطلوناً أبيض . تساءل: هل تعمدت أن تلبس ملابس واسعة من فوق وملابس ضيقة من تحت؟

قال مازحاً:

- نجحت في التخلص من السهرة دون أن ترسلي أي مشروب إلى "كولبي" .

- إنه غير موجود هنا . لكن لو كان موجودا لم أكن لأرسل له أي شراب .

- ولهذا عدت مبكرا ؟ هل لأنه غير موجود هنا ؟

قالت وهي تحاول التملص :

- انتظردقيقة ، الوقت متأخر .

قال متلعثما :

- إنه هكذا بالنسبة لي .

تفحصت "تريشيا" جفونه التي حاول أن يجعلها مفتوحة - ولكنه لم يستطع . سقط رأسه حينما دوت ساعة الرواق . أصبح تنفس "بادي" منتظما .

***

كان المنزل غارقا في الظلام . تقدم "شوك" نحو السلم الكبير بخفة . لقد قاوم حتى لاينام وأخرج علبة السجائر عندما رن جرس التليفون . أدرك عند الرنين الأول لجرس التليفون أن "بادي" يشكو أزمة. أكدت "روز" له ذلك في عدة كلمات وارتدى ملابسه في الحال وهو يعدها بالوصول فورا للعناية بـ"تريشيا" .

كانت السحب تخفي القمر وتلقي بظل على الدهليز ، توقف "شوك" ليعتاد الظلام . ثم رأى بعد قليل وميض ضوء يبزغ من تحت الباب ،

هرع إلى مساعدة المرأة التي أقسمت أنها لم تعد تحتمل رؤيته . هل كان هذا نابعا من إحساسها بالشفقة على العجلة ؟ بالتأكيد لا . لا يوجد أي علاقة بين الإحساس بالشفقة والإحساس بالذنب . لقد كان يؤدي عمله . لقد عاش اللحظة التي استدار فيها رافعا سلاحه بيده كثيرا . أوضح وجه "تريشيا" الخوف والسذاجة . لقد رفضت يده الممدودة وهربت .

وصل أمام الباب وتوقف واستمع . ثم فتح الباب وسرعان ما وقف مرة أخرى على عتبة الباب وتوقف واستمع . ثم فتح الباب. لقد دخل إلى ضيعة رجل وذكرى امرأة حاول أن يكون محللها النفسي.

كان "بادي" نائما في منتصف الحجرة وسط جبل الوسائد.

كان مصدر الضوء آتيا من مصباح موضوع بالقرب من "كرسي" "تريشيا" . كانت متكورة على مقعدها وخدها يرتكز على قبضة يدها المغلقة . أثاره رؤية عنقها وكتفها العارية واجتاز الغرفة ليجثو أمامها. بدت له حساسة جدا . داعب وجهها دون أن يوقظها . ثم مال بجانبه ليمرر ذراعيه حولها . سقط رأسه على كتفها وأفلتت من فمه همهمة بسيطة.

أحست "تريشيا" فجأة بعناقه . فتحت عينيها بمشقة كبيرة وتعرفت على "شوك".

توتر وضمها إليه بقوة.

قالت متلعثمة وهي تمرر ذراعيها حول عنقه :

- هل خطر ببالك ذات يوم يا راعي البقر أن تطرق الباب وتطلب رؤيتي؟

سألها وهو غير مهتم بنبرة المزاح البادية في صوته:

- هل هذا سيكون شيئا غير عادي؟

قالت بابتسامة مخنوقة:

www.elromancia.com

- بالنسبة لك ، نعم دون شك.

سالها :

- هل انت بخير ؟ لقد تسببت في حزنك.

اغمضت عينيها وداعبت خده.

- إنني بخير . كنت مضطربة ولكنني بخير الآن . لكن ماذا تفعل هنا؟ ولماذا اتواجد بين ذراعيك؟

اغفلت حادثة العجلة حينذاك.

- لم استطع النوم .. رأيت النور واعتقدت انك ربما تحتاجين إلي للاعتناء بـ"بادي" .. يمكنني مساندتك .. أما عن وجودك بين ذراعي فهذا لانني ساحملك إلى السرير.

قطبت حاجبيها لحظة ثم تركت رأسها يسقط .كان واضحا انها موافقة.

استدار "شوك" ليحملها لكنه تسمر في مكانه لدى قيامه بالخطوة الأولى .

كان معلقا أمامه بمواجهة سرير "بادي" لوحة لـ"تريشيا" وسط الطبيعة وهي مرتدية فستانا ابيض طويلا . كانت تمسك وردة صفراء في يدها وتبتسم برقة ويبدو في عينيها الزرقاوين خيرجم. تابعت "تريشيا" نظرات "شوك".

همست "تريشيا":

- إنها "ماجي" .

كرر وهو يقترب ليدرس اللوحة:

- "ماجي" ؟

ظل دهشا أمام هذه المعجزة الوراثية . كان واقفا أمام صورة "ماجي" في ليلة زفافها . معجزة؟ لعنة؟

تمتم وهو يتامل "تريشيا":

- كيف يحتمل هذا ؟ ما شعوره عندما ينظر إليك؟

- إنه لا ينظر إلي . أحيانا ينظر إلى جبهتي وذقني . إنه يتجنبني بصفة عامة. لايلمسني . ولا يقبلني .. افهم هذا تماما.

بدا "شوك" يفهم هو الآخر . تذكر وهو يحملها إلى حجرتها انها اعترفت له ذات يوم انها ستعطي كل شيء حين يحتضنها احد بقوة.

- "شوك" يمكنك أن تنزلني على الأرض .. إنني قادرة بالفعل على المشي.

- وانا قادر بالفعل على حملك .. اتركني افعل هذا إذن.

وافقت على رأيه بكل سرور لم تعرفه منذ أن أصبحت ذراعا "روزي" صغيرتين على خصرها . اغتنمت هذه الفرصة لكي تتامله .

- "شوك" ، هل "روزي" هي التي استدعتك؟

- قلت لك: إنني رأيت نورا من تحت الباب ..

- من على بعد ميلين؟

- القمر ساطع الليلة.

كانت "تريشيا" تعلم استحالة هذا.

- قلت لـ"روزي" أن تتصل بك ، أليس كذلك؟

توقف بعد أن أدرك أنه لايعرف حجرتها . انقشعت السحب ونثر القمر أشعته الفضية على الأرض.

- هل تعرفين أنك تسالين كثيرا؟

- وهل تعرف ايضا أنك لاتجيب عنها في اغلب الأحيان؟

- نعم ، طلبت من "روز" أن تتصل بي إذا قررت أن تؤدي دور الممرضة طوال الليل . ليس عليك أن تواجهي هذه التجربة وحدك يا "تريشيا".

حبست دموعها التي تصاعدت .

- أين حجرتك؟

- في نهاية الدهليز . أول باب على الشمال .

www.elromancia.com

وضعها على الأرض عندما وصل إلى عتبة الحجرة حتى يفتحها، أمسكها عندما أرادت دخول الحجرة. كانت ذراعه ضاغطة عليها لكن "تريشيا" عزمت على عدم الاستسلام. إنها تشعر بالرضا الآن.

- "شوك"، لا يمكننا ترك "بادي" وحده فترة طويلة أرجوك يا "شوك"، اتركني.

تمتم:

- قبلة فقط. قبلة واحدة.

قبلها "شوك" قبلة واحدة محتدمة. أحست "تريشيا" بالتيه. لابد لها أن تعود إلى نفسها.

دخلت الحجرة وأضاءتها.

قال:

- لا تحزني، لن أتركه دقيقة واحدة.

كانت تستمع إليه دون أن تعرف ما يقوله.

أضاف وهو يدفعها برقة داخل الحجرة:

- هيا، اذهبي للنوم فإنك منهكة.

هل التعب حقا هو الذي أضعف ساقيها وجعل ذراعيها ثقيلتين؟ تركت نفسها تسقط على مقعد أمام المرآة بينما ألقى "شوك" نظرة خاطفة على الحجرة الملونة باللون الأصفر والأبيض لهذه المرآة الفاتنة.

خلعت "تريشيا" المشبك الذي يمسك شعرها وهي ترى خيال "شوك" في المرآة.

قالت الفتاة:

- هل ستستدعيني إذا حدث له أي شيء؟ لاينبغي أن تدخن في حجرته.

- حسنا.

- ومهما قال لك فإنه محظور عليه تناول أي شراب.

وضعت الفتاة المشبك الأخير وهزت رأسها. سار شلال ناري حتى منتصف ظهرها، رفعت المشط عندما توقفت فجأة، رأت "شوك" في المرآة يتفحصها وتأثرت كثيرا تحت نظراته الثاقبة.

- رؤية شعرك المنسدل هو الشيء الوحيد الذي يفوق جماله أي شيء آخر.

ثم استدار وأغلق الباب وراءه.

***

انطلقت "تريشيا" بـ"سحاب" بسرعة ضحكت بصوت عال وقد أعجبتها السرعة التي تسير بها. كانت الرياح تتخبط بوجهها ورفعت ياقتها. لم تكن تنوي أن تترك أباها وحده اليوم لكنها سعيدة الآن لأن "شوك" أقنعها بذلك.

دهشت "تريشيا" لأنها لم تتصرف كما ينبغي عندما دخل "شوك" إلى حجرة "بادي" وحملها من على كرسيها حتى حجرتها. واليوم حملها حتى الباب الكبير حيث كان في انتظارها "سحاب" و"آفاق" المستعدان للرحيل.

ما إن وصلت حتى حدود أراضي "وينستون" أبطأت نفسها واستدارت نحو "شوك".

قالت لاهثة مثل مطيتها تقريبا:

- كنت محقا: إن كل ما أحتاجه هو الجري والطيران!

قال مقترحا:

- هلا ذهبنا بعيدا عن هذا الجانب قليلا؟

توقف بعد مرور عدة دقائق أمام سور يفصل بين المزرعتين. كان يبدو عن قرب بعض الأخاديد القديمة التي تعود إلى وقت الحرب بين "وينستون" و"بادي" حينما تركا لبعضهما البعض الحرية المتبادلة في استخدام هذه الأراضي تبعا لاحتياجاتهما. أنزل "شوك" حلقة صدئة وفتحها.

اقترح "شوك":

- الا تعتقدين انه قد حان الوقت لان يطا آل "رايلي" باقدامهم اراضي "وينستون" ؟ هيا ، إنك تحترقين شوقا إلى هذا . لن يطردك احد . إنني أؤكد لك هذا ، مالك هذه الأراضي يؤكد لك ذلك بنفسه .

اجتازت "تريشيا" السور والابتسامة تعلو شفتيها وواصلت طريقها بفرحة.

واصل الاثنان طريقهما نحو الحظائر.

-"شوك"لماذا اوصى لك "ستان" بحق السماء بهذه المزرعة ؟ قلت بنفسك إنك تعرفه بصعوبة . وانت ... لاتحب هذه الخيول.

رفع كتفيه وألقى نظرة على الأراضي المحيطة به .

- اظن انه يدين لي بالمعروف . لقد أرسلت إليه في السنوات العشر الأخيرة قدرا لابأس به من العملاء . كنت ابعث اي صديق او اي شخص أعرفه يهتم بالخيول الأصيلة إلى "ستان".

ثم اضاف بابتسامة مقتضبة:

- علاوة على انه كان سيترك كل هذا لمن ؟

اشتمت "تريشيا" سرا وشعرت بالغضب . لكي يصبح باردا كان لابد على "شوك" ان يخفي معاناته الشديدة وكرهه.

كان الطريق الذي يسلكانه مؤديا إلى حوش محاط بالحظائر البيضاء من الجير الذي يغطيها . كان صهيل الخيول مسموعا .. كانت "تريشيا" تفضل هذه الرائحة الحادة للخيول الممزوجة برائحة الكلأ ورائحة المواشي . كانت الخيول الأصيلة تخرج رؤوسها من الباب وتمد أعناقها نحو الزائرين ، مشت "تريشيا" في طريق يسمح لها بتحية كل حصان على حدة في أثناء مرورها

قال "شوك":

- من هنا يا "تريشيا" . أريد أن أريك شيئا آخر .

تبعته الفتاة بين المباني . اكتشفت في وسط الربوة وجود مسكن محطم .

توقفت الفتاة وسألت بدهشة:

- هل هذا منزل "ستان" ؟ هل كان يعيش هنا ؟

قال "شوك" الذي نزل من على الحصان وربطه في أحد الأعمدة:

- ليس سيئا كما تتصورين . إنه أفضل حالا مما كان عليه قبل ذلك . قمت بعمل بعض التجديدات فيه والتحسينات . النوافذ تعمل ...

- تعمل ؟ كيف هذا ؟

- إنها تنفتح وتنغلق .

- هل تقصد أنها كانت من قبل ؟

- نعم ... لكنها تعمل الآن.

فتح الرجل الباب بركلة بسيطة من قدمه لتساعده على فتحه...

- لا آتي هنا في أغلب الأحيان . بالنسبة لمكان يستخدم بغرض النوم والشرب فيه فإنني أعتقد أن هذا المكان كاف .

تبعته إلى غرفة يوجد بها مدفأة مركزية كبيرة ومطبخ جانبي أشعل "شوك" النار. أدركت "تريشيا" بفزع أنه لايوجد مدفأة أخرى ! تأملت في صمت الأرضية المتشققة والنوافذ التي لاتحمل أي ستائر... بدت السجادة ذات الألوان الفاقعة التي أحضرها "شوك" غريبة وشاذة في هذا الديكور . هل اختارها بعناية؟

همست "تريشيا" وهي غير مصدقة:

- كان "ستان" يعيش هنا إذن.

- إنه ليس كوخا قذرا بالفعل يا "تريشيا".

- لم يكن مضطرا للعيش هكذا . يوجد عشرات المباني اللائقة هنا .

- كان "ستان" يمتلك منزلا جميلا .

أدركت "تريشيا" تغيرا في صوته . هل سيتحدث إليها ؟

- وماذا حدث لهذا المنزل الجميل ؟

قال وعيناه تبرقان :

- استدان "ستان" وفقده .

سالته وهي تقترب من النار:

- هل حدث هذا في "تكساس" ؟

- آه .. مؤسسة لاستثمار الخيول.. افضل مؤسسة في هذا المجال ...

- إذا كانت افضل مؤسسة كما تقول فكيف خسر كل شيء؟ داعب ندبته واخافتها هذه الحركة.

- الخيرون قد يعرفون الاشرار . لم يكن "ستان" يحب البنوك او العاملين بها وعندما احتاج إلى رأس مال توجه إلى "اناس" اعتقد انه يستطيع الثقة بهم ... اخته وزوجها ...

- والدك.

- نعم . شجع ابي "ستان" في هذا الطريق وقدم له المال اللازم - لكن في اللحظة التي عرف فيها ابي ان "ستان" لايمكنه المواجهة طلب منه رد الدين .

- هل جرؤ والدك على فعل هذا باخي زوجته ؟

- لم تهمه صلة القرابة . كان "بورجارد كولبي" في حاجة إلى اراض جديدة و"ستان وينستون" يمتلك افضلها . كان لابد عليه ان يبعده.

قالت وهي تفكر :

- لايبدو مفهوما إذن في مثل هذه الظروف ان يوصي "ستان" بمزرعته إليك.

- هل لانه القى بجزء من الإثم علي ؟

- آه ، لا . لم اكن لاتصرف هكذا لوكنت في مكانه لكنك نسيت انني اعرف "ستان" .

- قد يتضح الأمر عندما تعرفين أن اغلى كنز لدى والدي قبل اراضيه هو ابناؤه.

- ربما يكون هذا انتقام "ستان" بعد وفاته؟ لقد اخذ "ستان" احد

اولاده لينتقم لانه اخذ اراضيه منه .

تراجعت قليلا لتتفحص المكان وتذكرت عبوس "ستان" وصراعه مع "بادي" بسبب الشريط الحدودي الفاصل بين ضيعتيهما.

لكن الأمر تم تسويته بعد مباحثات بسيطة في دار المساحة لكن "ستان" لم يبق على حاله قط بعدها ليس مدهشا انه تصرف مثل السنجاب الغيور من اللون الرمادي . فسر "بادي" موقفه على انه اتهام ولم يتقاسما هذه الأرض أبداً ...

كانت "تريشيا" تعتقد في قرارة نفسها ان هناك من سرق أرضها من اجل "ستان" .. إن الاشرار فقط هم من يستفيدون من صعوبات الآخرين. إن فقدان الأرض لدى "تريشيا" يعادل فقدان شخص عزيز عليها .

ذهبت إلى المطبخ . اضاف الدولاب الأحمر إليه لمسة سعادة . كانت توجدسلات مليئة بالبصل والبطاطس والتفاح : اكتشفت صينية عليها طبقا بفتيك . قالت في قرارة نفسها: "سنبقى" . سمعت خطوات قدميه خلفها .

- لقد خططت كل شيء ، اليس كذلك ؟ كنت تعرف لما اقتدتني من منزلي انك ستصطحبني إلى هنا .

- نعم ، اتريدين تناول أي شيء ؟

- خططت لكل شيء!

- إنه مجرد عشاء يا "تريشيا" وليس اختطافا!

احست بغضبها يتصاعد داخلها لانها وقعت في مثل هذه المكيدة.

- اصطحبتني إلى هنا لاطبخ لك. كل حكاياتك عن الهواء والشمس مجرد ذريعة لتصطحبني إلى مطبخك!

قال ساخرا:

- لكنك لاتعرفين الطبخ.

www.elromancia.com

- لم أقل هذا !

- لايهم يا "تريشيا" . لاداعي بالنسبة لفتاة كبيرة مثلك أن تخجل من عدم معرفتها فن الطبخ!

قالت مؤكدة:

- لكنني أعلمه بطريقة جيدة ايضا .

- اسمعي ، سآخذ حماما . وعندما أنتهي منه ساعتني بالعشاء، تصرفي وكأنك في منزلك.

سارت بمحاذاة خطواته - لكنه أغلق باب الحمام بسرعة ، وجب عليها أن تتجه إلى الحائط.

صاحت:

- طبقا بفتيك ! لايوجد أي شيء يستحق الطهو ! يكفي الشي! هذا أفضل!

أجابتها فقط ضحكة ساخرة ومقلقة . بدأت في إعداد السلطة واختارت قطعتين كبيرتين من البطاطس وقشرتهما ثم وضعت طبقا مليئا بالزيت على الموقد. في أثناء هذا الوقت بدأت البحث عن مشواة. لكن لم تنجح مساعيها . هذا المطبخ الموجود من قبل الحرب لا يوجدبه أي شيء!

قالت متذمرة:

- عظيم.

ثم فكرت في "روزي". عثرت على التليفون على منضدة في حجرة "شوك". جلست على السرير وتفحصت الغرفة لكن اشياء "شوك" المبعثرة كانت تعطي انطباعا بوجوده . طلبت رقم التليفون ثم جلست بارتياح واستندت إلى الوسادة . وسادته .. وردت "روز" عليها .

قالت "تريشيا":

- إنني رهينة يا"روزي" . هل أنت متواطئة معه؟

- إنه يهتم بك يا "تريشيا" وانا أيضا.

- لكن...

- لست في نهاية العالم!

قالت معترفة:

-لكن من المفترض أن أقوم بالطهي .

- لكنك لاتعرفين فن الطهي يا عزيزتي.

- لكنني أخبرته عكس ذلك!

- لماذا إذن ؟

- لقد تحداني.

- حسنا ، أخبريه بالحقيقة وانك ستحرقين كل شيء...

- إنه بفتيك يا "روزي" . أعلم كيف أطهوه.

- لماذا اتصلت بي إذن؟

- لاتوجد مشواة فكيف أتصرف؟

- خذي موقدالكن لوكنت في مكانك لتركته يفعل ذلك بنفسه.

- أعطيني التعليمات وسأتدبر الأمر بنفسي .

عندما عادت إلى الحجرة الكبيرة رأت أن الغروب ألقى بوميض أحمر على الغرفة. النار! كانت "تريشيا" محتارة بين الفزع والدهشة حينما حملقت إلى النيران التي تتصاعد من الموقد . أمسكت المقلاة وملأتها بالماء.

- يا إلهي !

دخل "شوك" إلى المطبخ . اسود الدولاب الموجود فوق الموقد . استدارت"تريشيا" . رأى "شوك" نظراتها التائهة.

صاح فيها قائلا:

- لاتضعي ماء!

- لابد من إطفاء النار!

www.elromancia.com

- ماذا يوجد في المقلاة؟

- زيت فقط .. ونار.

أمسك "شوك" غطاء وأخمد النار ثم فصل الغاز.

شهقت "تريشيا":

- انتهى .. انتهى !

قال وهو يسحب الطبق من بين يديها :

- النار تحتاج إلى الأكسجين . لا ينبغي إلقاء الماء على الزيت أو الدهون . ألم تعطك "روز" أي إرشادات بخصوص الحريق ؟

- بلى . كانت تقول لي دائما : اجري.

- تجرين ؟ هذا كل شيء حقا ؟

- حسنا . اجلسي وتنفسي مرة واحدة.

قالت بابتسامة غريبة:

- تعرف أنها كانت رائعة.. وحمراء .. مضطرمة.

كرر وهو يمرر يده في شعرها الذي لايزال رطبا:

- رائعة! أؤكد لك أنها ستكون حمراء ومضطرمة.

الفصل الخامس

سأل "شوك":

- هل كنت تنوين العودة إلى "جرين هيلز" لدى تخرجك في الجامعة؟

دفع طبقه وأشعل سيجارة . نظرت "تريشيا" إليه من أعلى المنضدة وهي تتناول الشراب .

كان يخضعها طوال العشاء إلى استجواب منتظم . كانت الأدوار تنقلب إلى حد ما ...

وحكت له عن كل تفاصيل حياتها الماضية منذ أول مرة رفعتها فيها "روزي" على ظهر حصان.

قالت:

- لم يكن لدي أي مشروعات محددة جدا . كنت حاصلة على دبلومة في الاقتصاد وأظن أنني كنت أنوي العيش في "جرين هيلز" وأنا أعمل في وظيفة بالمدينة في مشروع صغير. أعتقد أن هذا راق لي .

www.elromancia.com

- لكن ؟

- لكن في الأسبوع التالي لاستلام الدبلومة علمت أن أبي مريض . كان هذا منذ اكثر من سنة لكنه أخفى علي ذلك . لم يقل أي شيء لأحد لكن كان واضحا انه لا يستطيع العناية بالماشية طوال اليوم كله وبالوثائق القديمة في المساء . وانهمكت أنا في عمل المكتب .

- متى توقف عن العناية بالحيوانات؟

- أظن انه قبل شهرين من مجيئك.

- هل تندمين على العمل الذي كان يمكن أن تقومي به ؟

- لا . كنت أعلم دائما أن الأمر سيسير هكذا . عندما يكبر الإنسان بجانب أب طاعن في السن مثل والدي فإنه يدرك إما أنه سيفقده أو أنه سيصبح عاجزا. بينما يكون الإنسان نفسه في ريعان شبابه .

قال "شوك" برغبة واضحة:

- وأنت تحبينه .

- وأنا أحبه .

مدد "شوك" ساقيه ، مع شعره الأشعث و"البلوفر" الكشمير ذي الكمين المرفوعين وبنطلونه القطيفة الأسود لم يبد عليه أنه راعي بقر. تلاقت نظرات الثنائي .

قالت "تريشيا":

- حان وقت عودتي .

لاحقها قائلا :

- مازال الوقت مبكرا .

- على ما أتذكر فإنني تركت حصانا مربوطا أمام بابك .

- أعاد "رالف" بورجيس" وكيلي الحصانين من أجلنا . ثم تناول حصانك الطعام والشراب .

- حسنا ! فكرت في كل شيء! ستخبرني الآن بالسبب الذي من أجله تعقد حياتك . يكفي أن تدعوني إلى العشاء . قد أوافق على عرضك .

- وإذا طلبت منك قضاء عطلة الأسبوع هنا ؟

- لماذا ؟ لماذا أقيم معك؟

أجابها بابتسامة بريئة زادت من خطورته :

- لدي غرفة أخرى يمكنك استخدامها . لكنني ساكون صريحا معك. سابذل قصارى جهدي لإغوائك إذا بقيت هنا .

ما كادت أن تنهض واقفة إلا وأمسك يدها .

- أرجوك اسمعني إلى النهاية.

هزت راسها . هل يمكنها الوقوف على ساقيها بهذه الطريقة ؟ إنها متعبة جدا ..

- تحتاجين إلى النوم والأكل في ساعات منتظمة . تحتاجين إلى أخذ قسط من الراحة ولاتشعرين في أثنائها بالقلق على "بادي". سياخذ "مات ڤوجان" مكاني في "جرين هيلز" يوم الاثنين. يمكننا أن نتسلل بين التلال والتنزه . ساريك بقية المزرعة . يمكنك استطاء الخيول بدلا من أن تبقي متسمرة على هذا الكرسي العقيم بجانب "بادي" والتفكير في أشياء لايمكن لأحد أن يغيرها. إنني أرثي لحالك يا "تريشيا" . أود العناية بك كثيرا .

- لكن ينبغي أن يعتني به أحد في المقام الأول .

-"روز" موجودة معه.

- إنها ليست شابة يا "شوك". لايمكنها العمل طوال فترة الأربع والعشرين ساعة.

- وأنت كذلك . لايستطيع أحد فعل ذلك . عموما تدبرت هذا الأمر بان تاتي زوجة "مات" لتقوم بهذه المهمة مع "روز".

في الوقت الذي أدركت "تريشيا" فيه موهبته في التنظيم فكرت في هذه المراة الطاغية والعبوس.

- "سارا"؟ لايستطيع "بادي" رؤيتها . سيخنقها إن لم تخنقه هي اولا!

قال ساخرا :

- من الممكن أن نقول: إنهما خلقا لبعضهما البعض إذن .

www.elmaktabeh.com

- مستحيل يا "شوك" لا يمكنني البقاء.

- من الأحرى أن تقولي : إنك لاتريدين البقاء .

- حسنا جدا . لا أريد البقاء.

- لماذا ؟

- لأنني لن أنام في الغرفة الثانية . إنني حساسة . وأشعر بالخوف . الخوف من فقدان شخص عزيز علي والخوف من الوحدة . لست متأكدة أنني ساتجه نحوك لأسباب مشروعة . لقد أخطات مرة ولاتجبرني على البدء من جديد.

- إن ما بيننا يوجد منذ أول يوم التقينا فيه. تعرفين أن هذا لا يمت بصلة إلى خوفك من الوحدة .

اغمضت عينيها وبدت متحيرة تماما .

- حسنا يا "تريشيا" . لن أصر لكن ابقي قليلا ساصطحبك في السيارة ويمكنك أخذ "سحاب" غدا. سنقضي اليوم معا .

- سابقى اليوم فقط.

- وتعديني بان تتركي "سارا" تسهر على راحة "بادي" هذه الليلة وتذهبي إلى سريرك بمجرد عودتك إلى "جرين هيلز".

- أؤكد لك انه لن يغمض أحد جفنه إذا تركناهما معا وجها لوجه !

- اسمعي : اتركي "روز" و"سارا" يعتنيان بـ"بادي" في عطلة الأسبوع وانا سانسى أنك أشعلت النار في مطبخي .

- قلت لك من قبل : إنني سادفع فاتورة النجار.

- انسي النجار ونامي مرة واحدة بشكل جيد.

- مفهوم.

قال وهو ينهض ليضيف حطبا إلى المدفأة:

- عظيم.

عبرت "تريشيا" الغرفة وهي تمسك كاسها في يدها . كانت هناك بعض المجلات تملأ المنضدة القصيرة . كان يوجد على الرفوف كتب واشياء أخرى غير منتظرة تجاور جلد الكتب المتهالكة . لابد أن كل هذه

المجلات تخص "ستان" ثم سمعت فجاة ارتطامين واستدارت . ألقى "شوك" وسادتي الأريكة على الأرض . ورفعت حاجبها .

قال مدافعا عن نفسه وهو يرفع يديه وفتح راحتي يديه:

- لم يكن لدي أي قصد خفي . لا يوجد مقعد واحد هنا يمكنك الجلوس عليه .

كانت نظرة سريعة على ما حولها تكفي لإقناعها.

قالت وهي تواصل تفحصها :

- حسنا .

كان يوجد لفافة من الرسائل غير المفتوحة على المدفاة بجانب "الهارمونيكا" وقفاز قديم للبيسبول.

سالته وهي تشير إلى الآلة الموسيقية:

- هل هذه خاصة بك ؟ أو أنها خاصة بـ"ستان" ؟

- إنها خاصة بي .

- هل تعرف كيف تعزف عليها ؟

- لا ، إنها جزء من مجموعة راعي البقر. تعرفين أن "الهارمونيكا" توضع في جيب وكيس التبغ في الجيب الآخر .

قالت مبتسمة :

- لاتعرف العزف عليها إذن.

- نعم بالتاكيد .

- إيه ! لا يهم يا "شوك" ،ولد كبير مثل راعي البقر لايخجل من جهله بالموسيقى !

قال متحديا :

- أترغبين في الرهان ؟ أعطيني إياها .

جلست على السجادة وأعطته "الهارمونيكا" . أمسكها وتمدد على الأرض ورأسه على إحدى الوسائد . أغمض عينيه ثم بدأ يعزف و"تريشيا" تستمع إليه مفكرة.

عزف لها أحد الملاحم الغربية القديمة التي نفذت إلى قلبها مباشرة

بسبب بساطتها .

عندما انتهت الموسيقى عرفت "تريشيا" أن كل الحواجز التي حمت نفسها بها قد سقطت. قدم يده ليداعب شعرها وعرفت انها ستبقى .

تأملت العينان الذهبيتان العينين الزرقاوين . ظلا هكذا فترة طويلة في صمت متبادل وكان صمتا افضل من الكلمات . أحست "تريشيا" أن الدم يتدفق إلى أذنيها وأنها تفتقد الهواء ، ارتعدت يدا "شوك" . لقد جمعهما العذاب الذي زاد من طول شهور الانتظار . أراد "شوك" أن يتولد الجمر من تاجج شعرها ومن هنا تظهر النار ثم وهج النار . مال عليها وقبلها ، ذابت "تريشيا" على اثر هذه القبلة . إنه هو كل ما تريده وكل ما تخشاه لكنها لم تعد تفكر في هذا .

همس قائلا :

- أحبك.

قالت لاهثة:

- أعلم . وأنا أيضا .

- هل هذا صحيح ؟ هل فكرت في هذا ليل نهار؟ هل أصابك الجنون من جراء هذا الانتظار الطويل ؟

- نعم ، نعم ، منذ أسابيع ، منذ شهور .

وهنا أطفأ كل منهما النار التي تؤججهما .

***

- انهض يا راعي البقر.

استدار "شوك" النائم على ظهره وأغمض عينيه في ضوء الصباح الفج .. رأى "تريشيا" واقفة بجانب السرير وابتسامة عريضة تكسو شفتيها . ارتدت مئزرها ووقفت ممسكة صينية مليئة.

قالت بنبرة عذبة:

- استيقظ أحضرت لك الفطور إلى السرير .

تأملها بنظرة مرتابة .

- لم تطهي أي شيء على الأقل ؟

- لا شيء غير "التوست".

وضعت الصينية المحتوية على عصير برتقال وثمرة وتوست إلى جانب المربى .

أجبرته على الجلوس . أمسكت قدحا وصبت محتواه بهدوء عليه . أمسك "شوك" يدها لدى سقوط أول نقطة مثلجة عليه وتناثر السائل في الهواء وارتعدت كتف "تريشيا" العارية . تركت القدح حينما جذبها إليه.

سألها :

- لماذا فعلت هذا ؟

لم تبتسم الفتاة وأطلقت عيناها وميضا .

- من أجل الغرفة الثانية .

- كيف ؟

صرت على أسنانها :

- كذبت علي .

- لا .

- لا يوجد بها سرير! إنها فارغة!

ابتسم الرجل ابتسامة مدهشة :

- لم أقل لك قط إنه يوجد سرير بها . قلت فقط : إنه لدي حجرة أخرى وهذا صحيح.

- قلت لي : إنه يمكنني النوم بها .

- كان يمكنك . لم أقل قط إنها مريحة . وعلى أية حال فإنك رفضت عرضي ولا أرى داعيا لشكواك.

- لكنك كذبت علي . كفى ، أمنعك من تقبيلي حينما أكون غاضبة .

أرجع فمه وأطلقت "تريشيا" سيلا من الشتائم.

قال "شوك":

- ألا تريدين السكوت ؟ أحضرت إلي عصير البرتقال ، أليس كذلك ؟ فقي هادئة حتى أتذوقه.

www.elromancia.com

الفصل السادس

انطلقت "تريشيا" بالمهرة بسرعة حول السور وتقطعت انفاسها . أمسك "رالف بورجس" اللجام بوحشية وتمتم ببعض الشتائم وسيجارته الكبيرة بين شفتيه .

قال "شوك" عند الحاجز:

- يكفي هذا الآن يا "تريشيا".

تسمرت "تريشيا" في مكانها والقت نظرة ساخطة.

- إذا استسلمت فستعتقد المهرة أنها كسبت.

استطرد:

- فعلت هذا من قبل . أليس كذلك؟ كم عدد المحاولات التي تنوين فعلها ؟

- متى يلزم أن اقنعه بانني لن اقرر اللحظة التي أطا فيها الأرض بقدمي .

تفرس فيها حينما امتطت الحصان وتساءل عن الطريقة التي تمكنت من إقناعه بها .

لقد اختارت دون شك لحظة ضعفه ! لقد استيقظ تحت مداعباتها وقبلاتها . ويكاد يقسم الآن أن "موافقته" التي لابد أنه تذمر بها لاتمت بالصلة إلى الإذن الذي طلبته .

- لكنها تساءلت في أثناء الفطور : هل سيذهبان للبحث عن "رالف" في الحال لتخبره أنها تنوي ركوب المهرة الرمادية؟ وأجابها أنه ليس معنيا بهذا.

لقد أراد أن يجعلها تقوم بالتنزه في التلال . قبل خمسة عشر يوما أجرى لها تدريبا سريعا بالحصان لكن تم التدريب مع حصان جامح ! واستسلم في النهاية .

انتقدته بسخط : " ربما كان خالك عجوزا فريدا لكنه لم يفعل شيئا على الأقل سوى الكلام. بالتأكيد ، لا يتمسك أحد في آل "كولبي" بوعوده.

قال في قرارة نفسه : "إنها عرفت كيف تمس نقطة حساسة . سقطت الفتاة مرة أخرى ولمست الأرض ورجعت إلى الخلف قبل أن تبصق التراب الذي تسلل إلى فمها . لقد شارك "شوك" في قدر كاف من مسابقات "الروديو" ليعرف أماكن إصابتها ! قفز من على الحاجز عندما اثنته عينا "تريشيا" الثاقبتان.

قالت "تريشيا" للمهرة وهي تنهض ببطء وبمشقة:

- في هذه المرة يا جميلتي يبدو أنني سامتلكك.

كان "شوك" يأمل ذلك حقا وهو يراها تشد على أسنانها وقد شعرت بالمذلة لكنها لاتريد إظهار ذلك. وإلا فسيضطر إلى جذبها بالقوة خارج هذا المضمار.

إنه يعرف غضبها يعرف الجميع في "جرين هيلز" الآن أنها تقضي عطلة الأسبوع معه . من يوم الاثنين حتى الجمعة لايمكن انتزاعها من أمام سرير "بادي" لكن عطلات نهاية الأسبوع أمر يخصهما . لما رآها تفترش الأرض قال لنفسه : إن إغضابها ربما لن يكون فكرة سيئة!

وقف "رالف" أمام المهرة الجامحة التي تغرس أقدامها في الأرض

www.elromancia.com

لتؤكد توزانها . بصق عقب سيجارته وتفرس في "تريشيا" التي تطلب المهرة مرة ثانية.

همس فيها قائلاً:

- لقد عودتها أن تحمل رجلاً على ظهرها في حظيرتها .

قالت له :

- ليس لديها المكان لتطرحه على الأرض.

استطرد وهو ينصحها :

- انبطحي على المهرة على أن تكون ذراعاك وساقاك مائلات . ستتصور المهرة هكذا انه لا يمكنها أن تطرحك من فوقها .

أطاعت "تريشيا" ما طلبه لم تجحظ المهرة عينيها تحت ثقلها . عندما أحست "تريشيا" ببعض الثقة بدأت تعيد ساقيها إلى جانبي المهرة برقة واعتدلت بحرص .

قال "رالف" لها بعد دقيقة:

- لا تتحدي الشيطان ، اقفزي قبل أن تطرحك.

نزلت "تريشيا" على الأرض وإحساس الظفر يجتاحها . كانت تشعر بالألم في كل جسدها تقريبا وغدا سيسوء الأمر لكنها كسبت .

قال "رالف" أمرا وهو يكافئ المهرة ببعض قطع السكر التي أخرجها من جيبه:

- عودي إلى الحظيرة الآن . داعبيها قليلا ، أتفهمين ؟ إنها عصبية وستشعر بالتعب هنا . لابد أن تفهم أن فارسها صديقها أيضا .

لاحظ "شوك" "تريشيا" التي تمسك المهرة وهي تعرج ثم استدار نحو "رالف".

تمتم "رالف":

- كان لابد عليها أن تقبل فارسا من الطبقة الأولى . لقد افسدت صديقتك الصغيرة أفضل مهرة لديك.

أحس "شوك" بالذنب لكن كان يمكن أن يكون "رالف" غير مباشر هكذا.

قال "شوك":

- من الناحية العملية - لكنه غير صحيح.

قال "رالف" متذمرا :

- أظن أنها ستعتادها.

أيده "شوك" الذي قدم قداحته نحو "رالف" الذي اقترح إشعال سيجارة جديدة - هذا صحيح بالفعل .

استطرد "رالف" وهو ينفث دخان السيجارة:

- إنني جاد . إنها تنهض بعد سقوطها في أغلب الأحيان.

لكن لديها ما لا يمكن لأحد أن يتعلمه أبدا وهو الإحساس بالحيوان . وتعرف تماما متى تسقط . ستدهش إذا أخبرتك كم مرة كسر عنقي على الرغم من العمل سنين في هذه المهنة.

قرر "شوك" أن تنتهي "تريشيا" من الآن من التدريب على الخيول.

سأل:

- هل هذه المهرة لها اسم ؟

- "عظمة" وتجري مثل الريح وتميل إلى الفوز . هناك بالتاكيد عوامل أخرى قد تتدخل .

- مثل ماذا على سبيل المثال ؟

لم يكن "شوك" يريد شيئا إلا تحريك الوقت في ظل انتظاره لـ"تريشيا" واهتم ببعض نتائج المباريات .

- يمكنك بيع هذه المهرة بأي سعر يروق لك . لا يبخل المشترون خصوصا...

سأل "شوك" وهو ينظر إلى أسفل :

- خصوصا ؟

- خصوصا أنها ولدت في نهاية السنة.

سأل "شوك" دون أن يفهم :

- ماذا يعني هذا ؟

- نسيت أنك غير مهتم بالخيول .

شعر "شوك" أنه يستحق لها أن تعقد مؤتمرا حقيقيا .

استطرد "رالف":

- نحن نعتبر أن كل الخيول الأصيلة مولودة في الحادي والثلاثين من ديسمبر. لا يهم تاريخ ميلادها الحقيقي. في الواحد والثلاثين من ديسمبر يكتمل عامها الأول . عندما نربي خيول سباق فإننا نتدبر الأمر لكي ننظم أعياد الميلاد مع بداية الربيع . وهكذا ينجو الحصان من قسوة فصل الشتاء بالحصول على شهر كامل من التدريب. لكن "عظمة"... يبلغ عمرها ستة أشهر تقريبا.

- هل توشك أن توضح لي أن أحد خيولنا هرب واستفاد آخر منه؟

- يا إلهي ! لا ! مثل هذه الأمور لاتحدث هنا. "عظمة" منحدرة من سلالةكبيرة . إنها ليست مخصصة للسباق ولكن للمتعة . وبالنسبة لهذه النوعية من الخيول فلا يوضع في الحسبان تاريخ ميلادها.

- عفوا يا "رالف" فلم أكن أعلم.

تذمر الوكيل قليلا :

- على أية حال فإنك تمتلك فائزة في المستقبل لكنني لن أقدمها في سباق قبل عامين .

لقد ضاعت خيول جيدة من قبل لأنهم دفعوا بها قبل الأوان . اتركها سنة أخرى وستعوضك عن معاشها.

تنهد "شوك":

- عليك أن تتخذ القرار يا "رالف" .

كانت الحظائر ينبعث منها رائحة الكلأ والخيول والجلد والدهون. إن "تريشيا" تنعم فيها بالهدوء . إنها لم تشعر قط بمثل هذا الإحساس وسط المواشي . في "جرين هيلز".

داعبت طوق المهرة الرمادية قبل أن تغادر المربط . كانت المهرة مازالت رطبة ولم تهدأ حتى يمكنها أن تشرب . قربت "تريشيا" الدلو ومررت يدها على شعر المهرة للمرة الأخيرة . ثم أغلقت الباب وذهبت للحاق بـ"شوك" .

لم تشعر بأي كسر في جسدها لكنها سترى كل ألوان قوس قزح في

خلال يومين .

قال "شوك" لها :

- لم تتوقعي هذا ، أليس كذلك؟

قالت بابتسامة عريضة :

- لا أفهم ما مقصدك . قضيت وقتا ممتعا .

- حقا؟ هذا يبدو لي مدهشا.

أمسك كتفيها وضمها إليه . حاولت أن تخفي تكشيرة شعورها بالألم.

استطرد:

- قلت لنفسي: إنه ربما يمكننا الذهاب إلى النهر بعد ظهر اليوم . لن تنعم بسهرات ممتعة من الآن حتى فصل الشتاء . مارأيك في هذا ؟ نزهة مع غروب الشمس ؟

أجابته بابتسامة مقتضبة:

- هذا لايجذبني كثيرا .

كانت فكرة ركوب الحصان تثير فزعها .

- هيا ، كوني لطيفة ، فكرت في هذا كثيرا .

همست "تريشيا":

- ربما في الأسبوع المقبل .

اعترض قائلا :

- سيكون الجو منعشا .

رفع عينيه نحو السماء .

قال مصرا :

- الجو رائع اليوم .

قالت وهي تخلص نفسها :

- لا يا "شوك" ، قلت لك : لا .

سألها وهو يتصنع الدهشة:

- لماذا ؟

www.elromancia.com

-لانني لا أريد ركـوب الحـصـان أو الذهاب إلى اي مكان . أريد ببساطة أن آخذ حماما ساخنا . أشعر انني مررت من تحت خمسة عشر طنا !

- هانت تعترفين أخيرا بالتعب ، أليس كذلك ؟

أشار إليها باصبع الانتصار.

- اعتبارا من الآن لم يعد هناك ترويض كبير للخيول .

- كيف ؟ لكنني لا أريد التوقف ! فإنه يروق لي كثيرا .

جذبها نحو المنزل .

- هل تعلمين أنك حمقاء تماما؟

اعترضت حينما بدأ في ملء المغطس.

- لا ، لست حمقاء . اتركني أستمر في العمل مع الخيول يا "شوك" . أرجوك!

- لا .

- أرجوك يا "شوك".

قال وهو يقلد نبرة صوتها:

- لا .

***

استيقظ شوك مع الضوء الأول للفجر . فتح عينيه ثم قفز خارج السرير في الحال لكن المرأة التي كانت تنام بين ذراعيه غيرت كل شيء لقد تأخر الآن . أدرك أنها استيقظت وشاهدت الصورة الموضوعة على المائدة.

قالت وهي تمسك الصورة:

- أسرتك.

- إيه ... إيه !

- هانت ذا . وهذان والداك . ما اسم والدتك ؟

-"هونورا".

كانت سيدة شقراء وجميلة إلى حد ما .كان والده ضخما لكن ليس

مثل "بادي" الذي يبدو كبيرا وذا عضلات قوية . لابد أن وزن "بوكولبي" يصل إلى ضعف وزن "بادي" . كان يبدو قاسيا جدا.

- ما اسم أختك؟

- ماليا " . ماليسيا".

قالت "تريشيا":

- إنها تشبه أمك لكن لا تتمتع بوقتها دون شك. إنها تبدو هشة. أين "بي جي".

أجابها "شوك" وهو يشير إليه :

- ها هو

ثم أضاف وهو يستعيد الصورة . منها .

- "ناتان" و"جارات" جالسان على السور."جارات:" إلى اليسار.

- افتقدتهم ، أليس كذلك؟

- نعم.

سمع "شوك" ضحك إخو ته في ليلة عشاء الأحد وصوت "ماليا" الرقيق يشدو باغنية عيد الميلاد. أغمض عينيه . على الرغم من طمع وخيانة آل "كولبي" إلا انه كان هناك ضحكات بينهما .

استطرد فجاة وهو يشعر بالحنين.

- نعم ، افتقدتهم .

- لماذا إذن...

- لماذا رحلت ؟ لانني لا أريد إفساد حياة الآخرين بمساعدة آل "كولبي" على ملء خزانتهم.

وضع الصورة على السرير والعذاب يبدو عليه .

- من أفسدت حياته ؟

- صديق. خير أصدقائي . ستكرهينني إذا حكيت لك .

نهض "شوك" . لم ترد "تريشيا" أن تفقده . أرادت أن تصرخ فيه لتعبر عن حبها وتخبره انه لن ينقصه اي شيء .. أي شيء خاص بماضيه أو في مستقبلهما .

www.elromancia.com

كان مرتديا بنطلونه الجينز فقط وذهب إلى الغرفة الاخرى ليحرك النار.

عندما عاد إلى الحجرة الصغيرة أمسكت يده . انتظر لحظة قبل أن يستدير نحوها .

- اتركيني يا "تريشيا"، لابد أن أرتدي ملابسي.

- لن أتركك حتى تحكي لي قصة صديقك . لن تتغير مشاعري تحت أي ظرف .

- إنك لاتعلمين أي شيء يجدر بك ألا تتحدي القدر .

- ليس مفيدا لك أن تنطوي على نفسك . ثق بي يا "شوك"، أرجوك . إن كل ما أخشاه أكبر مما يمكنك أن تفعله .

قال مفضلا أن يفقدها أحسن مما قد يحدث بعد ذلك.

- لقد أخذت حقه .

رأى عينيها تجحظان.

استطرد:

- كان هناك بترول على أراضيه ويبلغ ثمنه ملايين كثيرة.

حاول أن يخلص نفسه لكن "تريشيا" أمسكت به .

- لماذا فعلت هذا ؟ إنني أعرفك يا "شوك" . لم تفعل هذا من أجل المال.

- كان لديه مزرعة مواش . أراد تحسين السلالة بشراء ثور راه في "كنساس سيتي". كنت في المرعى الشمالي لـ"رويال سي" عندما أتى لرؤية أبي ليطلب منه سلفة . كنت سأثنيه عن هذا إذا كنت قد عرفت . عندما عدت حاولت إقناعه بأن يقوم بالاقتراض من البنك ويعيد مال أبي إليه في الحال لكنه لم ينصت لي . لقد اقرضه "بو" بفائدة اقل من فائدة البنك . ومع حدوث إنتاج لثوره تصور نفسه أنه سيستطيع رد الدين عندما يحين أجله لكن سرقت مواشيه وقدم أبي له فاتورة حسابه

أحست "تريشيا" بعذابه يزداد بالتدريج.

- لكنك لم تفعل أي شيء يا "شوك" . إنه والدك.

- لا ، إنه أنا . استدعاني أبي ذات يوم إلى مكتبه وأعطاني صك الدين وأمرني بالذهاب إلى آل "أندرسون" للمطالبة بالدين.

رفضت أولا أن يكون لي دور في هذه اللعبة القذرة بأنني صرحت له أنه لايوجد أي شيء في هذا العالم أجمعه يدفعني إلى الاستحواذ على مزرعة صديقي . خيرني والدي حينذاك بين أمرين: إما أن أذهب إليه بنفسي وفي مثل هذه الحالة سيمتلك "بوبي" نصف مواشيه تقريبا ويمكنه أن يقيم مزرعة في أي مكان آخر ، أما إذا رفضت فقد يعتبر "بوبي" نفسه سعيدا لأنه رحل مع الملابس التي يحملها على ظهره .

همست "تريشيا" بدهشة:

- لكن هناك بترول!

- نعم ، لكن لا يعلم به أحد عدا أهل "بو" . عندما علمت بأمره أمنت أنني أرتكب جريمة قتل.

- لماذا أجبرك والدك على القيام بهذا ؟ إذا كان يمكنه الحصول على المزيد في ظل انتظاره فلماذا فعل هذا ؟

انتهى "شوك" من ارتداء ملابسه . أخذ ساعته وسجائره وقبعته .

- كنت أحاول دائما الهروب من انتمائي إلى آل "كولبي" . لم يعد "بو" متحكما في كما كان يتمنى . أظن أنه اعتقد أن الوقت حان لأذكر نفسي بمن أكون وما المفترض أن افعله .

أمسكت يده وقبلت راحة يده .

- فعلت ما بوسعك لمساعدة صديقك . لست أنت من قدم له المال ثم فرض عليه رده.

- لقد أخذت أراضيه يا "تريشيا" . لقد توارثتها أجيال وراء أجيال ، لقد سرقت إرثه .. لا يهم من أصل هذه المناورة . كنت أنا الذي بمواجهته عندما تنازل عن كل مايملك . أنا الذي نظر إليه حينذاك . فكري في ذلك يا "تريشيا" .

- لا يستحق هذا كل هذه المعاناة . أعرفك وأعلم أنك طيب.

دهش الرجل لثقتها به . ضمها إليه ووعد نفسه بألا يجعلها تندم

أبدا على هذا اليوم .

***

فقدت الأشجار أوراقها الأخيرة . تعاقبت الأيام وانخفضت الحرارة. كانت هناك طبقة خفيفة من الثلج تغطي التلال . دخلت "تريشيا" إلى المنزل الذي لم يغلق بابه بمفتاح قط . كان الجو باردا بداخله. بعد مرور ساعتين كانت نار المدفأة تنطفئ . طوال كل هذه الشهور تعلمت "تريشيا" الطهي وإشعال النار . من يوم الاثنين حتى الجمعة كانت فتاة موهوبة تخضع لكل مزاجات "بادي". وفي عطلة الأسبوع تصبح امرأة محبة وعطوفا.

عندما وصلت إلى المنزل الصغير أحست بانها موجودة في منزلها . لم يعد أمامها الآن سوى انتظار "شوك". رفعت الصينية من على الموقد عندما انفتح الباب بخشونة . صدمها هواء بارد وشعرت بالقشعريرة.

صاحت :

- أغلق الباب !

امرها "شوك":

- وانت أغلقي عينيك.

أدار ظهره لها .

سألته :

- هل تحمل هدية لي معك؟

- اغمضي عينيك او ساتجمد في مكاني.

- أعشق المفاجات . هل هي شيء يؤكل أم يلبس؟

سمعت الفتاة الباب ينغلق وهي مغمضة العينين وسمعت أيضا ضحك "شوك" جذب شيئا ثقيلا.

- هل يمكنني فتح عيني ؟

- ليس بعد . وإذا حاولت النظر فساعطي "روز"إياها.

كانت "تريشيا"تموت من فراغ صبرها وهذا الموقف أمام الهدايا

يضايق "شوك" في أغلب الأحيان . لماذا تحتاج إلى هذه المظاهر لتثبت أن حبهما موجود ؟

- حسنا ، يمكنك النظر الآن .

كان يوجد بالقرب من المدفأة كرسي هزاز.

قالت مبتهجة:

- أوه يا "شوك"، إنه جميل جدا ! يالله من عمل مدهش!

جلست على الكرسي وبدأت تتارجح برقة . أخيرا يوجد مكان مريح للجلوس.

قال متذمرا وهو يهز رأسه :

- إنك تجلسين عليه بطريقة خاطئة.

- عفوا لكنني أعلم كيف أستخدم الكرسي الهزاز!

قال وهو يجبرها على النهوض:

- يوجد فرق بين كرسي وكرسي.

عقدت ذراعيها ونظرت إليه وهو يجلس ثم أشار إليها.

- اجلسي هنا وضعي رأسك هنا على كتفي . إنه هكذا يصبح كرسيا.

همست بدهشة:

- يالها من هدية رائعة.

احتضنها "شوك" في رقة وحنان انتقل الاثنان معا إلى عالم لا يعرفه سوى العاشقين ...

***

نظفت "تريشيا" شعرها . لقد رحل "شوك"في ساعة مبكرة من الصباح وعملت الفتاة مع "عظمة" . ابتسمت لما تذكرت السرعة التي وصلت إليها في المضمار عندما كانت تمتطي المهرة . لكن لاينبغي أن يعلمها "شوك" . لقد حظر عليها أي نشاط خطير في المزرعة لكن بمجرد رحيله يومي السبت والأحد فإنها تهرول إلى الحظائر . بدأت تسهم في كل شيء : في التدريب والترويض وكم كانت تعشق هذا !

www.elromancia.com

انفتح الباب وانغلق .

قال "شوك" معلنا :

- هناك مطر بارد بالخارج.

صاحت عندما تقدم خلفهما وضمها إليه .

- إنك ترتعد يا "شوك"!

مد "شوك" يده إليها بلفافة.

كانت العلبة تحتوي على حذاء رمادي لراعي بقر . كانت "تريشيا" معتادة الحذاء المسطح الذي يصل حتى الركبتين . لكن هذا الحذاء له كعب ويصل إلى منتصف الساق مثل الحذاء الذي يرتديه "شوك".

قال .

- بما أنك تتصرفين مثل راعي بقر فيمكنك أن ترتدي زيه أيضا. ألقت عليه نظرة.

- أعرف دائما أنك تعملين مع الخيول . يمكنك التوقف عن إخفاء نفسك .

- منذ متى وأنت تعرف؟

- علمت هذا منذ ثمانية أوخمسة عشر يوما . ربما لا أكون أرق العشاق يا سيدتي الجميلة لكنني أعلم كل شيء . هيا ، جربي حذاءك.

أطلقت صيحة حماس . ثم تدربت على مشيتها الجديدة.

***

أصبحت الأيام قصيرة وباردة جدا . اقترب "شوك" من منزله . لقد أسدل الليل أستاره . لكنه لم ير أي نور أو سحابة دخان أبيض في السماء . فتح الباب . كان الجو باردا بالداخل . هل أخطا في اليوم؟ إنها غير موجودة هنا لكن اليوم هو يوم الجمعة.

أحس فجاة أن قلبه ترنح . شعر ببرد يفوق برد الشتاء . لقد قضى اليوم خارج المنزل ولم يستطع أحد اللحاق به . أخذ يتمتم بصلاة.

- يا إلهي ، ليتني وصلت في الميعاد وأتمنى ألا تكون وحدها الآن .

***

لم يكن في السماء إلا اصفرار بسيط يبدو على الجبل البعيد . لكن "تريشيا" لم تشعل أي مصباح. أضاءت الشمس- التي في طريقها للغياب- الحجرة.

نظرت إلى السرير وهي دهشة من أن "بادي" يفتح عينيه . لقد فقد وعيه منذ الفجر.

لكنه يحملق إليها الآن . ألم ينظر إليها قط بهذه النظرات المباشرة والمكثفة جدا ؟

تقدمت نحوه حتى السرير وأرغمت نفسها على الابتسامة.

همس "بادي" الذي تهلل وجهه من السعادة.

-"ماجي"؟

فتحت "تريشيا" فمها لتصحح خطاه ثم توقفت . إنها لن تحرمه مما كان يرفضه منذ ما يقرب من عشرين عاما . أضاءت ابتسامة مدهشة وجهه وفتح يديه ورفعهما أمامها .

همس وعيناه مبللتان من الدموع:

- "ماجي" . آه! "ماجي" لقد افتقدتك بشدة!

في الساعة الخامسة والثلث وفي آخر يوم من شهر نوفمبر اختفى "بادي" مع اختفاء الشمس في هدوء.

www.elromancia.com

الفصل السابع

لقد اعتقدت انه نائم لكنه احس انها تتخلص من ذراعيه وتركها تذهب . استمع إليها وعيناه مغمضتان وهي تتقدم بخطوات حذرة حتى زر النور. لقد قضيا الليلة معا في ظل النور ليتاملا بعضهما البعض- في هذه الحجرة التي تشع منها رائحة "تريشيا" - لأول مرة منذ أن فقدا "بادي" منذ عدة أسابيع . ثم راحت الحجرة في ظلام دامس وفتح عينيه .

رأى "تريشيا" تلقي نظرة شاردة على ما حولها ثم مالت إلى الأمام . تعرف في اثناء مرورها على بنطلونه الجينز الذي وضعته في الحال . قامت ببعض الخطوات في الحجرة ببطء . ثم لملمت قميص "شوك" وبحثت عن الكم بتثاؤب.

ذهبت بعد ذلك للجلوس أمام النافذة واسندت جبهتها ويديها المفتوحتين على زجاج النافذة.

لم يكن "شوك" يحب هذا على الإطلاق . كانت هادئة جدا . لقد تحدث مع "هانسن" بشان ذلك منذ عدة ايام وتحدث الطبيب بإسهاب عن

الحزن.

وأوضح قائلا : رأيت أناسا يمرون بمراحل مختلفة في عدة أسابيع. وأحيانا تستمر هذه المرحلة شهورا بالنسبة لأناس آخرين لكن "تريشيا" تعرف "شوك" منذ وقت طويل.

لكن "شوك" رأى أن الأمر غير طبيعي لأنها لم تبك مرة واحدة طوال الأسابيع الثلاثة الأخيرة . كان يعتقد في أغلب الأحيان أنه ... لوتمكن من الوصول في الوقت المناسب في هذا اليوم لاستطاع أن يمنعها من اللجوء إلى هذا الغياب الواضح في المشاعر .

أحست "تريشيا" بالبرد على جبهتها . كان القميص يفوح برائحة "شوك" . لقد أصبح الهواء الذي تتنفسه كما لو كان قد اخترق كل حواسها .

إنها تعيش . إنها تحيا . هذا هو كل ما كانت تحتاج إلى معرفته. ربما توجد أيام عصيبة في الشهور التالية لكنها ستتخلص منها . مازال لديها "جرين هيلز" و"روزي" ولديها "شوك" أيضا.

لقد أتى اليوم الذي تخشى وصوله وهو يوم فتح وصية "بادي" خلاصة الأمر أن كل شيء سينتهي . عادت إلى السرير وجلست عليه.

همس قائلا :

- هل كل شيء على ما يرام؟

- هل أيقظتك ؟ حاولت ألا أثير أي ضجة.

- تعلمين جيدا أنه يمكنك إيقاظي في أي وقت.

قالت وهي تداعب خده المزغب بشعر ذقنه:

-أوكد لك أنني بخير . إنني سعيدة لإحرازي بعض التقدم وأقمت ديكورات عيد الميلادلكنها لاتعجب "روزي".

- لاتشغلي بالك بهذا .

- أفهم هذا. لكن هذا اليوم سيكون قاسيا . أحتاج إلى أن أرى من حولي أشياء سعيدة ومبهجة . أتعلم ما أرغب في فعله هذا الصباح؟

- إيه؟

www.elromancia.com

دس وجهه في شعرها وداعبها .

- أن اذهب للتنزه على الحصان.

- على الحصان؟

- نعم ، على حصان سريع.

- كما تريدين يا سيدتي الجميلة.

جعلها تتارجح عليه وهو يحملها .

علقت على ما فعله وهي تشعر بالرغبة في الضحك والسعادة:

- هذا حقا يناسب راعي بقر . ليس هكذا يا "شوك" . يلزمني حصان ، حصان حقيقي.

- كيف ؟ أنا معك وتريدين حصاناً ؟

أمالت راسها وهي تضحك.

- جميل أن أراك تضحكين . كم افتقدت ضحكتك كثيرا .

أمسكت يديها وهمست :

- أرجوك يا "شوك" ، هل ستقوم بجولة على الحصان؟

- بالتاكيد ، سنذهب للقيام بالجولة .

انحنت "تريشيا" لتقبله ثم قالت:

- لكن مازال الوقت مبكرا .. لم يسطع النهار بعد . كيف سنقضي وقتنا حتى يسطع النهار؟

- آه ، سنجد فكرة.

قبلها قبلة عارمة...

***

ظل "شوك" واقفا في منتصف الصالون . لم ينس "بادي" في وصيته اي شخص في "جرين هيلز" أو في المدينة . كان "شوك" يرى من المكان الذي يقف به "تريشيا" جيدا . عندما شعر باستعدادها للانهيار أخرجها من المكان .

رفع "لامبرت" موثق "بادي" نظارته وفتح الصفحة الأولى من الوصية.

كان "شوك" يتفحص وجه مختلف الورثة من وقت لآخر . بدت

"تريشيا" هادئة وشاحبة قليلا . كانت واقفة على اليمين وهي مرتدية فستانها الأخضر الغامق .

كانت تستمع إلى "لامبرت" بلاانتباه..

- أوصي أنا "باتريك رايلي" الموقع أدناه إلى "شوك كولبي" - وكيلي وصديقي - بوصية استئمان لكل مزرعة المواشي وكل الأرباح القادمة .

سارت همهمات في الصالون ، ابتعد "شوك" عن الحائط.

- عدا منزل "جرين هيلز" الذي أتركه إلى ابنتي "تريشيا رايلي" إلى جانب كل الأراضي المجاورة له ...

راها "شوك" تهز راسها كما لو كانت تحاول أن تحلل الرسالة الغامضة ثم توترت تحت تاثير الزوبعة قبل أن تنطوي على كرسيها .

لم يسمع "شوك" أو "تريشيا" بقية الوصية . قال "شوك" في قرارة نفسه : "ماذا فعلت يا "بادي" ؟ ماذا فعلت إذن؟"

لمحت "تريشيا" حفيف الورق وفهمت أن "لامبرت" قد انتهى من الوصية. تلاقت نظراتهما مع نظرات الموثق المضطرب . هل ينبغي عليها أن تقول شيئا ؟

يبدو أن الجميع ينتظر منها أن تعطي الإشارة . نهضت واقفة.

أسرع الجميع حولها ولمسوا يدها ليخبروها بمساندتهم لها لكنها كانت مختنقة في الحقيقة . توجهت نحو الباب وخرجت . لم تر "شوك" الذي شق طريقه نحوها . إنها لم تعد ترى اي شيء او تسمع أو تفكر .

كان الجو باردا بالخارج .. هبت رياح باردة على وجهها . بدأت الشمس تلعب على السحب . مشت "تريشيا" وقدماها تغرسان في عدة أماكن . لقد فقدت حذاءها لكنها لم تشعر بلسعة البرد على قدميها . هربت بعيدا عن المنزل وأمام الحقيقة . "لقد ترك كل شيء لـ"شوك" . لـ"شوك" وليس لي ، بل له !"

كانت "تريشيا" تمتطي "سحاب" وتسرع به لتجتاز السد ، وصل "سحاب" إلى آخر حدود المزرعة ورفض القفز . لم تستسلم "تريشيا" ودفعته .. إلى الطيران ...

www.elromancia.com

إلى الهروب .. إلى تحطيم الحقيقة. لقد ترك "بادي" كل ماصنعه في حياته إلى "شوك" . المواشي والأراضي . التلال والغابات . الزهور البرية . لقد ترك لـ"تريشيا" منزلا لا تسكنه القلوب أبداً . هذا ما أعبر به عن حبي يا "تريشيا"...

هذا ما أعبر به عن ...

إنها لن تتذكر أبداً السقوط.

***

استعادت وعيها بالتدريج . أحست بصوت الملاءة وسمعت الأصوات المخنوقة . وصلت رائحة الكحول إلى أنفها . فتحت عينيها في ظل السحابة الزرقاء للحجرة . سمعت تاوهها تحت تاثير الألم الذي يعذب رأسها .

أخبرها "شوك".

- إنك في المستشفى .

استدارت ورأته جالسا بالقرب منها على حافة الكرسي . كان مرتديا نفس الملابس التي كان يرتديها في الصالون . ربتت الممرضة يد "تريشيا" وأخبرتها أنها ستذهب للبحث عن الطبيب . حملقت "تريشيا" إلى قميص المريض. في أي يوم تكون ؟ الوصية... تذكرت .. ألقت نظرة استفهام على "شوك".

- كنت تمتطين "سحاب" . سقطت سقطة فظيعة.

أمسك يدها . كانت باردة ورطبة.

- لديك كدمة لكنك ستشفين بسرعة.

لم يكن هذا ما تبغي "تريشيا" معرفته .

سألته :

- ماذا فعلت ؟

توتر الرجل وتذكر أن الصدمة العاطفية أقوى من الصدمة الجسمانية .

- ماذا تقصدين ؟

- أرضي . ماذا فعلت ؟

- لم أعلم أي شيء عن نية "بادي" . لم يحدثني قط عن أي شيء . هل تصدقينني يا "تريشيا"؟

أرادت أن تهز رأسها لكن الألم عاودها .

استحلفته في صمت : " أخبرني أنك رأيت "لامبرت" وأنك أعدت كل شيء إلي "

- هذا لم أتوصل إليه مع "بادي".

تتوصل ؟ كيف هذا ؟

تساءل "شوك" عن الهوة التي ألقى بنفسه فيها .

- إلى أي شيء توصلت يا "شوك"؟

- كان ينبغي علي شراء "جرين هيلز" بنسبة عشرة في المائة في السنة.

أغمضت عينيها . "جرين هيلز" الخاصة بها تباع.

- وبد لا من هذا منحك إياها .

- لا، لم يمنحني إياها . إنه مجرد استئمان حتى موتي وبعدها يعود كل شيء إلى الورثة الحقيقيين.

قالت وهي تبتلع نحيبها :

- أطفالي الذين سالدهم سيسعدون دون شك لدى علمهم بهذا أما أنا فلا . ولا تحاول أن تشرح لي أو تبرر لي .

كان الرجل مجروحا وساخطا . لم يعد يمكنها حبس دموعها . لما كانت غير قادرة على إدارة رأسها غطت وجهها بالملاءة . لم يحتمل "شوك" هذا توجه نحو الباب .

- الدكتور ينوي حجزك هنا ثلاثة أيام وهذا سيمنحك الفرصة للتفكير . سنتناقش مرة أخرى لدى عودتنا إلى المنزل .

***

أحست "تريشيا" في هذه المدة بالشك . فكرت في طيبة "شوك" وقالت لنفسها : إنه سيجد وسيلة ليعيد إليها حقها . ثم تذكرت أنه ورث مزرعة "وينستون" من رجل عرفه بصعوبة وذلك الرجل الذي كان من

www.elromancia.com

خير أصدقائه واستولى أبوه على أراضيه.

أتى "ويلي" لزيارتها في المستشفى . كان "ويلي" يتحدث باستمرار كما لو كانت قد بقيت بالمدرسة مدة ثلاثة أشهر .

لما وصلت إلى الممر أدارت رأسها إلى اليسار بحركة تلقائية. كان "سحاب" ياتي لمقابلة الزوار كعادته ويجري إلى جانب السيارات بطول كل السور.

همست :

- "ويلي" ، أين "سحاب" يا "ويلي" ؟

- "شوك" ... اضطر إلى أن .. كان مجروحا يا "تريشيا".

- "ويلي"؟

- اضطر لضربه بالرصاص . لم يكن سيشفى .

- ضربه بالرصاص ،هكذا إذن؟

- لا يمكنه فعل أي شيء آخر يا "تريشيا".

- أفهم ذلك . المسدس .. المسدس دائما ...

أغمضت عينيها . مثل العجلة . تخيلت "تريشيا" المشهد وسمعت صوت الرصاص .. ماذا تبقى لها ؟ لقد أخذ منها حصانها وأرضها وقلبها . ماذا تبقى لها ؟

أسقط "شوك" الثلج من على قبعته وكتفيه قبل أن يدخل المنزل ومر عبر المطبخ لقد هدأ من ثورة غضبه . كان رد فعل "تريشيا" طبيعيا. كان لابد أن يذهب إلى الموثق في اليوم التالي لإعلان الوصية .. لقد تدبر الأمر بحيث يعيد "جرين هيلز" إلى "تريشيا" بطريقة أو بأخرى .

دخلت "روز" بدورها إلى المطبخ .

- أوه ! شكرالله أنك عدت يا "شوك" . كنت سابعث أحداً للبحث عنك.

سألها بقلق:

- ماذا حدث يا "روز"؟

أجابته وهي تلوي يديها:

- لقد رحلت . رحلت.

- ماذا تقصدين؟

- حزمت حقائبها ورحلت. عندما أعادها "ويلي" أدخلتها حجرتها وتركتها عدة ساعات معتقدة أنها ترغب في الراحة . عندما عدت وجدت الأدراج مفتوحة وملابسها غير موجودة.

ثم أضافت وهي تخرج ورقة زرقاء من جيبها :

- ثم وجدت هذه .

قرأ "شوك" الكتابة المتعجلة وتسمر في مكانه . كانت الرسالة مختصرة:

إنها تحتاج إلى الرحيل و ستتحسن الأمور وأنها ستكلم "روز" في خلال يوم أو يومين لتخبرها بعنوانها . لم تترك أي كلمة واحدة لـ"شوك" . أمسكت "روز" - التي امتلأت عيناها بالدموع - يديه .

- ستجدها يا "شوك" ، أليس كذلك؟ وستعيدها ؟

- ألم تحدثك عن أي شيء؟

- كلا لكن "ويلي" أخبرني أنها عرفت .. بأمر "سحاب".

تذمر "شوك" وقبض على الورقة بيده . يا إلهي ! أراد "شوك" أن يهشم عظام "ويلي".

قال وهو ينظر إلى الليل الذي أسدل عبر النافذة:

- لن أذهب للبحث عنها .. إذا كانت تحتاج إلى وقت للتفكير فمن الأفضل أن نتركها تنعم بالهدوء.

تذكر "شوك" ما أحس به هو نفسه عندما غادر "تكساس" ومنزله الذي لم يشعر فيه بالارتياح.

- امنحيها ما تتمناه.

الفصل الثامن

سألت "أبريل ماركس" التي لايظهر إلا أنفها من خلف الجريدة:

- ماذا إذن ؟ "تريشيا" ! هل تسمعينني؟

حادت "تريشيا" عن النافذة وتلاقت نظراتها مع نظرات صديقتها الثائرة.

- اعذريني يا "أبريل" . ماذا قلت لي ؟

اختفت "أبريل" مرة أخرى مع حفيف الورق . كانت معتادة الحركات الماسوية مثل الدخول إلى الغرف والأبواب الموصدة مستخدمة يديها أكثر من استخدامها لسانها.

قالت معلنة:

- هناك فيلم مع "ريتشارد چيرا" بدءا من هذه الأمسية . تعلمين أنني أحبه ! ثم حفلة باليه في "كينيد سنتر" . هل قلت لك: إنني أرقص ؟ إنني جيدة ثم هناك معرض في متحف "سيمثونين"...

نظرت "تريشيا" من النافذة مرة أخرى . تبدو "چورج تاون" من وراء النافذة ومن خلفها "واشنطن" . كان هناك مجموعة من الصبية تقوم

بعمل سباق بالدراجات البخارية فيما بينهم. توقفت "تريشيا" لدى عودتها ليلة البارحة أمام كل حبة كرز ذات البرعم الوردي لقد آن الأوان لفتح النوافذ . لقد أتى فصل الربيع.

كررت "أبريل" التي تركت الجريدة لتنقض على مكعب علك.

- ماذا إذن؟ أين تريدين الذهاب هذه الليلة؟

لم تكن "تريشيا" تعرفها حتى هذه اللحظة.

- إلى المنزل .. أريد العودة إلى المنزل في "جرين هيلز".

- حسنا . لكن ماذا عن سهرة الليلة؟

أجابتها "تريشيا" وهي تتامل فوضتهما المعتادة في صباح السبت:

- لن أكون هنا في هذه الليلة. سأعود إلى المنزل .

قالت "أبريل" وهي تقفز على قدميها:

- الآن ؟ تقصدين اليوم ، أليس كذلك؟

لملمت "تريشيا" منديلها وحذاء التنس وشمسية وكتابا .

- بلى ، اليوم بالتأكيد.

ذهبت إلى الحجرة ووضعت حاجاتها على السرير.

- هل رأيت حلقي الذهبي ؟ لقد تركته لدى عودتي ليلة أمس لكنني...

سألتها "تريشيا" وهي تقطب حاجبيها:

- لايمكنك الرحيل هكذا بدون إنذار.

قالت "تريشيا" بدهشة:

- ولم لا ؟

- لانني ...

أحست "أبريل" أن الحجة ضعيفة قليلا .

- لانه رحيل حقيقي . هلا نظرت قليلا إلى ماحولك ؟ لديك هنا أكثر من هذه الحقيبة . لديك نباتات ودراجتك البخارية . و... أنية الزهور لايرحل الإنسان فجاة هكذا !

قالت "تريشيا" وهي تربت كتفها :

- إنك حزينة على الإيجار - لكنني لن أتركك في هذا الضيق .

www.elromancia.com

سأرسل لك نصيبي حتى تجدي مكانا آخر . أما عن الآنية فيمكنك الاحتفاظ بها وكذلك بالنسبة للنباتات ايضا .

عثرت على حلقها فوق التليفزيون . ثم اخرجت حقيبتها . كانت تحتاج إلى كثير من العلب الورقية ! أين توجد هذه العلب اليوم؟ وبدأت تفكر .

قالت "ابريل":

- المسالة ليست مسالة إيجار يا بلهاء ولا آنية الزهور .

سالتها "تريشيا" وهي تقطب حاجبيها :

- ما حقيقة الأمر إذن ؟

أوضحت لها بنبرة جادة وهي تجلس بالقرب من "تريشيا" على السرير:

- لم تزني قرارك كما هي عادتك . كنت في حالة يرثى لها في مساء ذلك اليوم. الذي اتيت فيه إلى هنا . كنت تعانين الكثير . ومهما كان سبب معاناتك في "جرين هيلز" فربما توصلت إلى حل المشكلة في اثناء إقامتك هنا لكنني لست متاكدة من ذلك .

تذكرت "تريشيا" . لقد رحلت دون ان يكون لها جهة محددة . لقد اتجهت نحو الشرق كعادتها ثم وصلت إلى "ابريل" في "جورج تاون" .

تنهدت "تريشيا":

- إنك محقة . لم احل المشكلة.

- لماذا تريدين الرحيل إذن؟

- لأنه فصل الربيع .

لقد اقسمت "تريشيا" الا تفوت اي فصل ربيع بـ"جرين هيلز".

رفعت "أبريل" يديها نحو السماء:

- الربيع ! هذا يفسر كل شيء!

***

أبطات "تريشيا" لتنظر من النافذة . لم يتغير اي شيء كما كانت تامل.

كانت التلال تتجمل باللون الاخضر وازدهرت أوراق أشجار الصنوبر .

أجبرت نفسها على عدم النظر إلى المضمار الذي كان يجري فيه "سحاب" .

لما وصلت أمام المدخل تنفست رائحة الأشجار بعمق. لقد احسنت صنعا برجوعها خرجت "روز" .

-"تريشيا" ! عزيزتي ! لماذا لم تخبريني بمجيئك؟

بكت "روز" واخذتها "تريشيا" بين ذراعيها .

- هانا قد عدت الآن .

تراجعت إلى الوراء قليلا لتتامل "روز" التي جففت دموعها بمنشفتها وتوعدتها باصبعها .

- رغبت في عتابك يا ابنتي . لقد جعلتني أعاني الكثير طوال هذه الشهور الأربعة.

- أعلم . سامحيني . لقد حدثت أشياء كثيرة في وقت بسيط . كنت محتاجة إلى أن ابقى وحدي .

- وهانت عدت إلى المنزل وهذا هو الأهم . العشاء سيكون جاهزا في خلال ساعة . أمامك الوقت الكافي لتهدئي .

أحست "تريشيا" عندما دخلت حجرتها باول وخزة مؤلمة . تذكرت آخر صباح عندما كانت بين ذراعي "شوك" . لم ترد أن تستسلم لهذا الإحساس . لقد اتخذت قرارها في اثناء عودتها . عندما تواجه "شوك" لاينبغي عليها أن تضعف بل يجب عليها التخفي وراء قناع البرود الذي كان يجيد "بادي" و"شوك" التخفي وراءه.

أخذت حماما وارتدت فستانا ظريفا ولملمت شعرها في جديلة أعلى رأسها. ستتناول العشاء مع "روز" في هدوء وهما يثرثران ، وغدا ...

انفتح باب صالة الطعام . قامت "تريشيا" بثلاث خطوات في الحجرة عندما رأته واقفا وواضعا يده على مسند الكرسي . توقف الدم في عروقها .

www.elromancia.com

شهق "شوك" لدى رؤيتها ولاحقته كل أحاسيس الماضي . لقد عاش في نار منذ رحيلها وها هي موجودة هنا في أبهى صورة لها .

قالت بصوت عادي أدهشه:

- مساء الخير يا "شوك".

- "تريشيا".

كان يود أن يحتضنها لكنه حملق إليها فقط.

استطردت وهي تضم معصميها حتى لاترتعد :

- لم أعرف أنك مدعو على العشاء . اعتقدت أن الطبق الثاني خاص بـ"روز".

- وأنا أيضا .

أدرك "شوك" فجأة أنها تجهل كل التغيرات التي حدثت في "جرين هيلز". لم تخبرها "روز" بأي شيء.

قالت "تريشيا" بحركة تراجع:

- لست جائعة تماما . تناول عشاءك مع "روز" إذا كان يمكنك أن تمنح نفسك إجازة مدة ساعة غدا لأنني أود التحدث معك فلا مانع .

نظر "شوك" إليها مندهشا وهي تغادر الحجرة . هل تعتقد حقاً أنه يمكنها الظهور هكذا دون كلمة توضيح واحدة ؟ الله وحده يعلم أن لديه عددا من الأسئلة يود أن يطرحها عليها :

دفع الكرسي بغضب في اللحظة التي وصلت فيها "روز" وهي تمسك صينية .

كانت الصينية تحتوي على حساء وجزر ولحم مشوي. تامل "شوك" الصينية بدون شهية.

- يمكنك إعطاء هذا إلى الصبية في غداء الغد يا "روز" لا أعتقد أن أحدا هنا يرغب في تناول العشاء هذه الليلة.

القت "روز" نظرة على ما حولها ثم أدارت عينيها نحوه .

- عادت "تريشيا".

- علمت هذا . كانت هنا منذ لحظة.

تمتم بالسباب ثم خرج.

عبر الدهليز حتى يذهب إلى الصالون . توقف "شوك" مندهشا على عتبة الباب :

كانت "تريشيا" واقفة أمام "البيانو" . فتحته وضربت على زر. كانت جميلة جدا .

لقد أخذ عهدا على نفسه أمس بأن يبحث عنها فإنه لا يستطيع العيش بدونها

ضغطت على زر آخر لكنه انكسر. أغلقته مرة أخرى وهي تتنهد . ثم راته ووميض يلمع في عينيه .

قالت مؤكدة :

- لقد تم إهماله .

- مثل أشياء أخرى كثيرة. بما أنني موجود هنا فعن اي شيء تريدين محادثتي ؟

كان "شوك" قريبا جدا . استشاطت "تريشيا" غضبا . لم تشعر باستعدادها للحديث بعد . كيف لم تكن مدركة أنه لا يمكنها مواجهته؟

- لقد تاخر الوقت يا "شوك" .كان لديك يوم عصيب . أما انا فقد سافرت مدة طويلة . تعال إلي غدا وسنتحدث .

لم يكن أمامه الاختيار . كان لابد أن يخبرها .

- إنني أعيش هنا الآن يا "تريشيا".

- كيف ؟

قطبت حاجبيها وهي غير مصدقة.

- أعيش هنا في هذا المنزل . أقطن بإحدى غرف الأصدقاء .

- ليس لك الحق في هذا . إنه لم يمنحك المنزل : لقد تركه لي على الأقل .

- لا تخلطي بين ما فعله "بادي" ومافعلته .

- إنه منزلي . ما الذي جعلك تعتقد أنه يمكنك الإقامة به دون إذني ؟

قال بهدوء لم يشعر هو به:

www.elromancia.com

- حتى اكون قريبا من عملي . كان ينبغي علي البقاء حتى منتصف الليل بسبب الحسابات .. لم تنسي الكتب ايضا يا "تريشيا" ، اليس كذلك؟

- اوه ، لاتعد هذا .. لا تجعلني اعتقد انك اضطررت للإقامة هنا لانني رحلت .

- ومن كان من المفترض ان يدير المنزل ؟ هل كلفت نفسك مشقة تعيين وكيل مفوض ؟ هل كلفت نفسك مشقة إرسال شيك كل شهر لـ"روز" من اجل مصاريفها ؟ على اي شيء كان ينبغي أن تعيش ؟ كان علي أن اقطع هذه المسافة مرتين كل يوم في السادسة صباحا وعند منتصف الليل.

كان "شوك" محقا في كلامه لكنها لعنته على هذا .

- ينبغي عليك ان تعود إلى الوادي.

تذكر الرجل النار التي عاشها .

- هذا يبدو صعبا علي . أجرت المنزل إلى آل "قوجان" و"سارة" تريد منزلا حقيقيا . أتريدين شرابا ؟

- لا .

حملقت "تريشيا" إلى الأراضي البعيدة عبر النافذة . إنها لم تتوقع قط مثل هذا الموقف .

همست بقوة حتى يسمعها :

- كان ينبغي علي أن أعرف هذا .

نظرت إليه مرة أخرى.

- لابد عليك أن تعود إلى منزلك . هذا كل ما في الأمر.

- بشرط أن تخبري آل "قوجان" بضرورة رحيلهم . لا يمكنني طردهم.

- حسنا ، سأذهب لـ"سارا" غدا .

قالت لنفسها : " إنهما لن يدهشا من ذلك" . ثم بدأت تلمس الستائر بعصبية.

ثم أضافت:

-إنك مدين لي بحصان ايضا .

- إنني متاسف لما جرى لـ"سحاب".

قالت بغيظ :

- ضربته بالرصاص .

- لقد عانى الكثير .

- هناك طرق اخرى . كان يمكنك أن تستدعي طبيبا بيطريا . ربما مات بطريقة ارق من طريقتك.

- كان هذا سيستغرق وقتا . مادمت انا المسؤول هنا عن الحيوانات فإنني لن اقبل أن أرى أحدها يعاني دون فهم السبب. هل سمعت من قبل حصاناً يصرخ من الألم يا "تريشيا"؟ هل رأيت حصانا يعاني سكرة الموت؟

- هذا يكفي .

ثم وضعت يديها على اذنيها قبل أن تضيف:

- لا أريد أن أسمع.

- كان ينبغي أن تفكري فيه قبل أن تدفعيه إلى قفز حاجز على أرض مثلجة . لا يمكنه القيام بهذا . كان ينبغي عليك انت ان تفكري في ذلك الوقت ، يا إلهي !

صاحت قائلة:

- هذا يكفي . أعلم ما أفعله . لاأحتاج إلى أن تخبرني أنها غلطتي .

كانت رؤية وجهها الشاحب وعينيها الجاحظتين لا يمكن تحملهما .

صب "شوك" كاسا أخرى لنفسه.

- اذهبي إلى المزرعة غدا واختاري الحصان الذي تريدينه ، ساخبر "رالف" بذلك .

قالت "تريشيا" لنفسها : نقطة ، أسهل .. إلى النقطة الثانية الآن.

قالت:

- علاوة على انني أريد مزرعة "وينستون".

كاد "شوك" أن يختنق :

www.elromancia.com

- تريدين ماذا ؟

- مزرعة "وينستون" . إنني استحقها . وانت تدين بها إلي . لديك "جرين هيلز" والماشية والأراضي .. لم تفعل اي شيء حسن في هذه المزرعة . أما أنا فامتلك الموهبة مع الخيول وتعرف ذلك جيدا . لابد أن يعتني أحد بها .

كان قلبها ينبض بقوة ولزم عليها أن تجلس على الأريكة . كانت دبابيس شعرها تؤلمها جدا وبدأت تسحبها .

- إنك تدين بها إلي يا "شوك".

كان "شوك" يرغب في الضحك وهزها في نفس الوقت ، صر على أسنانه .

درس اقتراحها . لديها حجج ذات ثقل . لقد أرهقه "رالف" بإلحاحه عليه بأن يتخذ قراره إما بالاهتمام بالمزرعة أوبيعها لشخص كفء ومهما كانت أسباب "بادي" فإن "جرين هيلز" لابد أن تعود إلى "تريشيا".

لقد أحبها ولكي يستعيدها لابد عليه أن يعيد "جرين هيلز" إليها ثم يمكنهما فيما بعد التناقش حول المزرعة.

إنه سيتحدث عندما يسقط الدبوس الأخير . انسدل شعرها على كتفيها لقد قصت هذا الشعر الذي عشقه كما لو كانت تقول له : "لقد عدت بالتاكيد ولكن ليس من أجلك".

استطرد بإحباط:

- بالتاكيد يا "تريشيا" . يمكنك أخذ مزرعة "وينستون" . ساتحدث بشان الإجراءات القانونية مع "لامبرت".

حملقت "تريشيا" إليه بشدة .. لم تكن تتصور قط أن يحدث هذا بسهولة . أحست بالارتياح . ماذا تقول له ؟ شكرا ؟ لا ، هذا واجب .

أضافت و هي تلملم الدبابيس الموضوعة على المنضدة :

- أقدر عدالتك . شكرا يا "شوك" ، سأذهب للنوم.

سألها بنبرة قاطعة:

- هل هذه دعوة؟

- لا .

توقفت وأدركت خطأها مؤخرا . أمسكها لدى مرورها وقبلها قبلة حارة . قاومت لكنها ردت إليه قبلته قبل أن تخلص نفسها . تفرس "شوك" فيها .

قالت بسخط:

- لا ... لا تعاود هذا أبداً .

قال بابتسامة ماكرة:

- ولم لا ؟ لقد استمتع بها كلانا ، أليس كذلك؟

- لانني ... لانني لا أحبك .. لا أريد رؤيتك.

كان ينبغي عليها ألا تبقى لحظة واحدة بجانبه . ثم استطردت:

- لم يعد لدي أي شيء أعطيك إياه.

شاهدها وهي تبتعد حاول أن يتبعها لكنه عاد إلى زجاجة الشراب . إنه في أمس الاحتياج إليها إذا أراد أن ينام تحت نفس السقف الذي تنام تحته ولكن في سرير آخر.

***

تحركت "تريشيا" في حجرتها بعصبية وهي تشعر بوجود "شوك" في نهاية الدهليز .

عندمار اغمضت عينيها طاردتها صوره.. لقد رأته يتحرك بلا مبالاة حينما كان يلقي ملابسه هنا وهناك . عندما فتحت عينيها مرة أخرى رأته على السرير حيث كانت تتمدد قبل أن تسبح نحو بلد الأحلام.

استسلمت لمشاعرها عند الفجر . فتحت نافذتها وداعبت نسمة الصباح بشرتها .

كانت الحديقة تتلألأ باللون الوردي . إذا أرادت أن تنعم بنوم هادئ فلابد عليها أن ترغمه على العودة إلى الوادي.

***

أوقفت العربة الجيب أمام المنزل وجحظت عيناها . لقد تم طلاء الباب

والمنزل كله . لاحظت "تريشيا" ثنايا الستائر العاجية على كل جانب من جانبي الباب المطلي أيضا.

خرجت "سارا" في نفس اللحظة التي خرجت فيها من "الچيب".

- صباح الخير يا "تريشيا".

- صباح الخير يا "سارا".

كان يوجد بينهما فتور مهذب . لقد زادت سنوات الترف خصرها وكدرت سنوات المجاعة نظراتها . أما "تريشيا" فقد بدت كأنها تمثال ملكي أمامها .

قالت وهي تجفف يديها بمنشفتها :

- لقد رحل الرجال . لقد صنعت قهوة . أتريدين قدحا؟

دهشت "تريشيا" للود غير المعتاد للدعوة.

- شكرا بكل سرور يا "سارا. شكرا.

قالت "سارا" مفسرة وهي تشير إلى الجدران البيج:

- لقد أعدنا الجدران مرة أخرى . كانت في أمس الحاجة إلى أكثر من العناية.

تمتمت "تريشيا":

- إنها جميلة جدا . الحجرة تبدو كبيرة جدا .

وافقت "سارا" بإشارة من رأسها وتوجهت نحو المطبخ . كانت هناك مناظر معلقة على الجدران البيضاء.

تجرأت "تريشيا" بالنظر إلى المكان الذي كانت تتجنب حتى الآن النظر إليه . لقد اختفت السجادة الحمراء وحل محلها أرضية مربعة وتتوسطها منضدة منخفضة .. لقد اختفى عشاق الأمس . أغمضت عينيها وأصبحت في ذكراها .

هزت "تريشيا" رأسها - وهي تمسك القدح في يدها - حينما حكت "سارا" لها عن مدى حبها للمنزل الصغير وكرهها للكوخ الذي كانت تعيش فيه وأنها كيف لم تستطع أن تدخر فلسا واحدا لكي تشتري منزلا لهما وعبرت عن تقديرها التام لسلوك "شوك" وإيجار المنزل

المعتدل . قالت "تريشيا" في نفسها: "لقد خمنت "سارا" سبب مجيئها". وأحست بخوف شديد من فقدانها لمنزلها الحقيقي الأول. عندما اصطحبتها إلى الباب انتظرتها . نظرت "تريشيا" إليها من الجانب .

تجرأت "سارا" وسألتها :

- هل تريدين ...؟

قالت "تريشيا":

- لا يا "سارا".

انغلق الباب فجأة على صدى الضحكات القديمة التي سمعتها في رأسها .

سأل "شوك" الجالس في المدخل بهدوء:

- هل كل شيء على ما يرام؟

كادت "تريشيا" أن تلقي بنفسها بين ذراعيه لكي تنتحب بينهما .

سألته بجفاء :

- هل تنتظر منذ فترة طويلة؟

- لا . ظننت أنك ستحتاجين إلى ربع الساعة تقريبا لكي تلقي نظرة وتدركي أنه لايمكنك طردهما خارج المنزل.

- هل أتيت لإظهار فرحك؟

أشعل سيجارة ثم أجابها :

- لا . لم يعد يمكنني الدخول فهذا قاس علي وأعتقد أنك تحبين أن تري شخصا لدى خروجك.

لاحظ أنها ترتدي الحذاء والقبعة اللتين قدمهما إليها . إنه يتذكر هذه الليلة .

قالت وهي تكتم دموعها :

- أريد أرضي.

- إنها ليست أرضك . إنها أرض "بادي" وعهد بها إلي .

- يمكنك من الغد البحث عن مهندس . هناك مكان وسط كل هذه الأراضي يمكنك تشييد منزل به .

www.elromancia.com

- تعالي . طلبت من "رالف" أن يخرج فرسا من أجلك.

عندما رأت "تريشيا" "عظمة" التي تنتظر في الممر شعرت بالاختناق . القت نظرة مضطربة على "شوك".

قال :

- تميلين دائما إلى الخيول الرمادية .

- لكن ... لا يمكنك إعطائي حصاناً بهذه القيمة!

- إنني المالك وافعل ما يحلو لي .. عندما تعود المزرعة إليك سيكون لك الحق في اتخاذ القرار وليس قبل ذلك يا سيدتي الجميلة.

لمس قبعته باصبعه وابتعد.

***

تعاون قاطنو "جرين هيلز" فيما بينهم بشكل معقول في الأسبوع الأول

كانت "تريشيا" تلوذ بالصمت في أثناء مقابلاتها المفاجئة مع "شوك" وفي حال الضرورة كانت تتمتم ببعض الكلمات . أما في وجبة العشاء التي كانت الوجبة الوحيدة التي تجمع بينهما فلم يكن يتم التطرق إلا للموضوعات غير المهمة.

كل هذا كان يتعب "تريشيا" . كانت متيقظة دائما دون أن تعرف حقيقة ما يخيفها .

لقد أصبح "شوك" شاردا ويظهر بشكل مفاجئ من اي جانب.

كانت "تريشيا" عصبية ذات يوم وضعت شايا لنفسها "واجتازت المنزل وهي تمسك قدحها بيدها . طرقت باب المكتب لكن ليس هناك من يجيبها . فتحته بحرص.

لقد اختفت الملفات القديمة التي كان التراب يغطيها . هناك ملفات جديدة ذات الوان فاقعة حلت محل الألوان القديمة . وهناك مكتب جديد أكبر ويوجد عليه دفتر الحسابات ، فتحته "تريشيا" وتفحصت صفحات السنين الأخيرة . وجدت خط أبيها الرديء وملاحظاتها غير الواضحة التي يفهمها هو فقط . ثم وجدت خطها والأعمدة السوداء أو

الحمراء ثم خط "شوك" السريع المليء بالرموز والعلامات المبعثرة.

- هل تبحثين عن شيء؟

ارتجفت "تريشيا" ورأت "شوك" على عتبة الباب.

- لن تكفي عن الارتجاف في كل مرة أدخل فيها الحجرة .

- أحسست بالخوف.

- أعلم . لقد دخلت بخشونة.

مد يده إليها بمظروف كبير.

- أمسكي . هذا من أجلك.

سألته ويداها ترتعدان :

- مزرعة "وينستون"؟

-كلها عدا المنزل ونصف هكتار مما يحطيها .لقد منحت "فوجان" عقد إيجار لهذا الجزء.

قالت "تريشيا" ملاحظة:

- لكن يوجد شيك أيضا .

- نعم ، إنه يوضح الفواتير المدفوعة والمرتبات حتى هذا الصباح . لقد جمدت الحساب في البنك . سينبغي عليك أن تفتحيه باسمك . عندما يصرف الشيك ستبدئين من الصفر.

هزت "تريشيا" رأسها وتفحصت بقية الوثائق . ركزت على اسمها المكتوب في العقد . لأول مرة منذ عدة شهور تشعر بالسعادة . إنها ستقوم بوضع خطط وتنفذها جيدا . ستشعر بوجودها في مكانها أخيرا . ارتسمت ابتسامة على شفتيها وعلى قلبها .

- شكرا يا "شوك".

رفعت عينيها . لقد اختفى .

الفصل التاسع

الفجر . إنها ساعة غير مناسبة للاستيقاظ . هكذا حدثت "تريشيا" نفسها. غادرت المنزل وتوجهت نحو مزرعة "وينستون" . إنها المالكة لكنها تشعر بالخوف . إنها تعرف الكثير عن الخيول بالتاكيد لكن مازال أمامها الكثير لتتعلمه.

لقد تفحصت الأوراق التي سلمها إياها "شوك" في ساعة متاخرة من الليل وشعرت بالخوف من المهمة الكبيرة التي تكبدتها . لقد أصبحت مسؤولة عن الموظفين والخيول وامهار المزرعة .

أخافتها هذه المهمة كثيرا ، فكرت قليلا في إعادة كل شيء إلى "شوك" . إن الطعام بالنسبة لها يعتبر ثروة ولابد أن تدفع الضرائب وتصلح الأسوار وتسوي مصاريف الطبيب البيطري والمرتبات ... دون التحدث عن مسؤوليتها .

شعرت ببعض القلق في اليوم الأول . رأت "رالف" خارجا من المكتب وهو يغلق الباب وراءه . كان ينتظرها في منتصف الطريق وهو ينفث سيجارته كعادته . كل شيء يخضع للدقائق الأولى وكانت "تريشيا"

تدرك ذلك جيدا . إن الفشل سيكون حليفها بدون مساعدة "رالف".

عنفها قائلا وهو يقطب عينيه.

- أنت الرئيسة الآن إذن؟ هل ستحتفظين بي أم ينبغي علي أن ابحث عن مكان آخر؟

- لا تقلق ، لقد فعلت هذا من قبل مرتين . لايمكنني الاستغناء عنك يا "رالف" .

- إنها الفرصة المثالية لطلب زيادة ، أليس كذلك ؟

- بالفعل . وأي شخص ليس لديه شكوك كان سيغتنمها دون شك.

ظل الرجل هادئا لكن "تريشيا" لمحت وميض السرور في عينيه.

- إن تصرفك بهذا الأسلوب مع كل العملاء يمكنك من بيع كل الخيول التي تريدينها إليهم. هيا بنا إذن. بأي شيء تريدين مني أن أبدأ ؟ الوثائق القديمة ؟ الجرد؟

- بماذا تنصحني؟

- لنبدأ بالخيول . مازال هناك بعض الامهار لم تريها . والأفراس أيضا . نحن في فصل الربيع . إنه أفضل فصل للنشاط.

- تكاد تطلب مني أن أنظف الحظائر وأنقل الكلأ!

- أنت المالكة لك الحق في عمل كل ما يسعدك لكنك تعرفين لازمتي المتكررة : أفضل طريقة لمعرفة الخيول هي أن تتواجدي لدى استيقاظها ونومها.

- حسنا ، سأذهب لإيقاظها .

قال وهو يشير إلى "عظمة" :

- أتريدين إرجاع المهرة إلى الحظيرة ؟ لم أنته من إعداد مربطها . أو أنك تفضلين أن أضعها بجانب السور مع الأفراس؟

- سأضعها بجانب السور.

وافق الرجل بإشارة من رأسه . سارت في المشى مع "عظمة" عندما سعل ليجذب انتباهها .

- هل عثرت على اسم للمزرعة؟

www.elromancia.com

قالت بابتسامة :

- هناك اسم جميل للمزرعة . اسم مشهور . لا أرى أي داع لتغييره .

هز رأسه من جديد وهو قانع تماما .

- أعتقد أن "ستان" كان يود أن يراك تديرين مزرعته .

كانت "تريشيا" تعرف أنها أجمل مجاملة تلقتها من "رالف بورجس".

كانت الفتاة تعمل من الفجر حتى غروب الشمس مع "بود جنكينز" أحد صبية الإصطبل وتقاسمت معه المهام بدءا من توزيع الحبوب ودلو الماء وتنظيف المرابط حتى تنظيف الخيول نفسها .

شعرت بالتعب في منتصف الفترة الصباحية وسقطت على العشب الندي . أغمضت عينيها واسترخت فلم يكن هناك أي شيء يجلب لها السعادة سوى الاسترخاء هكذا . على الطرف الآخر من الحظيرة زاد الحصان المسمى بـ"القاهر" من اندفاعه المحموم ، تذكرت "شوك" وهو يؤكد أنه لابد من كونها مجنونة لرغبتها في الحصول على مثل هذا الحصان. ربما كانت تفتقر إلى رجاجة العقل إنها تمتلك الآن - على أية حال - أجمل فرس في "فرچينيا".

همست فيه :

- إنك ملكي الآن.

ارتعدت أذن الحصان ووقف ساكنا .

- تعودت على صوتي وعلى رائحتي . سنصبح صديقين .

أوقفها بعد قليل "دان تراڤيس" في طريق الحظائر . لقد عمل في المزرعة منذ شبابه وأصبح ابناه مروضين بها وهو يعتني بالأمهار.

قال وهو يمد يده :

- مرحبا بك يا "تريشيا".

- شكرا يا "دان".

- بمجرد أن يكون لديك دقيقة واحدة أود التحدث إليك.

أحست "تريشيا" بقلبها ينقبض . لقد خشيت أن تفقد "رالف".

- يمكنك التحدث الآن لو أردت.

- الموضوع يخص خيولنا . إن أصالتها مميزة جدا حتى إنها لا تنتج إلا خيولا مخصصة للسباق لكنها خيول جامحة . لقد أعددت أحدها الذي يمكنه مع أفراس مختارة بعناية أن ينتج خيولا مدربة لكن لم يمكني إقناع "شوك" بشرائها .

انتظر الرجل ردها بنفاد صبر.

- أعتقد أن "دومينو" يفي بهذا الغرض.

تنهد "دان".

- دومينو لم يرتكب "ستان" أخطا كثيرة لكنه كان يشعر مع "دومينو" أنه معصوم من الخطا . كان يمنحنا من وقت لآخر خيولا سريعة وقوية مثل "عظمة" . علاوة على أن أمهاره هادئة جدا وعهدت بها إلى ابني الصغيرلكنها خيول سباق تسقط عند تدريبها أو خيول عصبية مخصصة للركوب حتى إنها تخشى ظلها.

تنهدت "تريشيا":

- هل يمكننا تكملة هذا الحوار في وقت آخر؟ ينبغي علي أن أسوي بعض الأمور الأخرى قبل القيام بعملية الشراء هذه .

- بالتأكيد . سنعاود التحدث في هذا الموضوع في خلال خمسة عشر يوما من الآن.

***

للمرة الخامسة على التوالي عادت "تريشيا" إلى "جرين هيلز" بينما أسدل الليل أستاره منذ ساعات . لقد أحست بالتعب في هذا اليوم بصفة خاصة . خلعت حذاءها بآخر مجهود تمتلكه حينما أضيئت الصالة فجأة . مررت يدها القذرة والمنتفخة على عينيها سألها "شوك":

- هل أكلت ؟

- تقاسمت مع "بود" ساندويتشا.

- هل كنت تنوين التحدث عن الاعتدال ؟

قبل أن تتمكن من الرد أمسك مرفقها وجذبها إلى المطبخ.

اعترضت قائلة:

www.elromancia.com

- بهدوء ، لا يمكنني الذهاب بسرعة هكذا .

دفعها إلى الكرسي وفتح علبة الحساء التي سخنها . ثم بلل الممسحة بالماء البارد.

جلس بالقرب منها وامسك يدها وتركته يفعل هذا . جعلتها اللمسة الساخنة للممسحة على راحتي يديها تكشر.

تمتم قائلا :

- هذه الجروح مازالت قذرة . هناك عفن يبدو في الافق.

- هذا يؤلم.

- هذا أمر طبيعي . بعد خمسة ايام على هذا الإيقاع لايبدو الأمر مدهشا في أن تشعري بهذه المعاناة.

لكنها لاحظت أن حركاته أصبحت رقيقة جدا . وتذكرت هذا اليوم...

استطرد قائلا:

- ما الذي تحاولين إثباته ؟

- لا شيء . إنها لحظة الميلاد.

- أعلم . نحن في فصل الربيع.

قالت مدافعة عن نفسها :

- لست مثل المواشي . لا يمكننا ترك الأمهار تتدبر أمرها بنفسها في المرعى.

- لديك طاقم للعمل . أشرفي عليهم.

- لكنني أريد أن أكون موجودة.

خيم الصمت على الجو من حولهما . كان الاثنان وحدهما عندما سدت سحابة نوافذ المنزل الصغير وانقطع سلك التليفون . تاملته وقد نسيت آلامها ثم أغلقت عينيها .

- لماذا تفعل كل هذا يا "شوك"؟

- الم افعله دائما ؟

رفع ذقنها .

- انظري إلي ، يا إلهي ! الم أعتن بك دائما؟ لماذا تهتمين بالخيول؟

ثم استطرد وهو يلعب بإحدى خصلات شعرها:

- لماذا يا "تريشيا" ؟ إنها جميلة وتشبهك : مجنونة وجامحة عندما نطلقها ...

قالت كاذبة وهي تتذكر أنها لم ترد إلا الاحتفاظ بالخيول التي كبرت بعد رحيلها من "جرين هيلز".

- لايوجد سبب خاص مجرد فكرة خطرت ببالي لاأريد حساء أريد الذهاب إلى النوم غدا سيكون اليوم شاقا .

سمعته يصيح بالشتائم عندما أغلقت الباب خلفها . ابتلعت نحيبها وعقدت ذراعيها اللتين كانتا ترغبان في ضم...

***

صعدت رائحة الورود البرية عبر النافذة . كانت "تريشيا" جالسة في مكتب "بادي" بالمكتبة . كانت تتفحص وثائق خاصة بالأمهار . اعتمد "دان" عليها ولابد أن تبدأ في التنفيذ لكن كان واضحا أن مواردها لم تسمح لها بأي عملية شراء . لابد أن تذهب لرؤية "هاريسون" رجل البنك. الله وحده يعلم كيف ستخلص نفسها من هذا الأمر !

بعد مرور عدة ساعات طرقت باب الدخول بشدة وهي ترغب في القتل . كانت تريد خنق "شوك كولبي" بطريقة يعجز عن وصفها ! لقد جعلت من نفسها اضحوكة : لقد طلبت سلفة ووقعت تحت رحمة "هاريسون" لكنها عرفت أن لديها ضعف المبلغ المطلوب في حسابها ! توجهت وهي غاضبة إلى المكتبة وعزمت أن تتلقى توضيحا من "شوك" لدى عودته. فوجئت بوجوده في المكتبة يتفحص الوثائق التي تركتها على المكتب .

- هل أودعت مالا في حسابي الخاص!

قال ساخرا :

- هل انا مستحق اللوم؟

- كيف تجرؤ على منحي المال ؟ كنت تقوم بالإيداع بشكل منتظم في اثناء فترة غيابي عن "جرين هيلز" . ولم تضع مبالغ زهيدة ! لماذا ؟ هل بسبب الشفقة ؟ لا أريد شفقتك . لا أريد شيئا منك.

www.elromancia.com

لم يتحرك "شوك" لكنه تاملها باهتمام متواصل . قال لنفسه: "هذا هو الوقت المناسب."

صاحت فيه :

- ساعيد لك كل شيء ولا تعاود هذا ! إنها مجرد وسيلة لتهدئة ضميرك !

كانت سترحل لكنه امسكها .

- هيا ، هيا . ليس لدي اي شيء في ضميري.

ثم اضاف وهو يقبض على معصمها:

- هل ضميرك هو الذي يعذبك ؟

استندت إلى الحائط وابتعدت حتى تتجنب تاثيره . قالت آمرة :

- اتركني .

- ساتركك إذا وعدتني فقط بالبقاء والإنصات إلي .

كررت قولها :

- اتركني .

نفذ طلبها . اسرعت نحو الباب لكنه لحقها واجبرها على الجلوس على الأريكة وابتسم لها .

- اسالي برقة وسافسر لك الأمر برمته.

- لا .

قفزت على قدميها وحاولت الخروج مرة ثانية.

مل "شوك" هذه اللعبة الصغيرة وامسكها من ذراعيها .

- حانت ساعة الحقيقة يا "تريشيا" . ستجلسين وتنصتين إلي.

قاومت لكنه حملها إلى الأريكة .. القت عليه نظرة باردة.

قال محتقرا إياها :

- هيا ، انقذي نفسك . هذا يسليني جدا .

- إنك ... إنك...

تهيات للقفز ووقع الاثنان على الأرض ودهسها بوزنه الثقيل . تاوهت الفتاة .

لكن مما كانت تخشاه وتحاول الهروب منه . إنها لم تستطع قتل عواطفها وادهشتها هذه الحقيقة كثيرا .

***

استسلمت "تريشيا" لقبلاته ومداعباته ...

- تعالي معي يا "تريشيا" . اتركيني احبك.

تنهدت "تريشيا" وهي محتارة بين حبها العارم والإحباط.

- اتركني ارحل يا "شوك" ارجوك.

- الوقت متاخر. لقد سمحت لك بان تكرهيني لانك كنت تحتاجين إلى احد تكرهينه ولم تسمحي لنفسك بكره "بادي".

صاحت:

- لا . إنها ليست غلطته . ليس لي الحق في أن اكرهه . لقد اجبرته بطريقة ما على أن يوصي بـ"جرين هيلز" لك كما ارغمت "ستان" على ترك المزرعة لك.

ابتعد "شوك" عنها . لقد غلى الغضب داخله . نهض ووقف حائلا بين الباب وبينها واشار إلى الأريكة .

- اجلسي . يمكننا التناقش او الصعود إلى الغرفة . امامك الاختيار.

انهارت المراة ووضعت راسها بين يديها .

قال:

- كنت مدينا لي بالمال الذي وضعته في حسابك . لقد تدبر "بادي" الأمور بهذه الطريقة . ترك لي المواشي والمباني واغلبية الأراضي ...

- أعرف تماما ما تركه لك .

أمرها قائلا :

- لاتقاطعيني لقد ترك لك المنزل والأرض التي تحيط به.

ثم ترقب رد فعلها : لقد ارتجفت.

- وساثبت لك ذلك.

بسط خريطة على المائدة المنخفضة ثم قال مفسرا:

- ها هي "جرين هيلز" . في الشمال والجنوب يوجد الطريق الكبير .

www.elromancia.com

ترك "بادي" لك كل هذا القطاع.

ثم اضاف وهو يشير إلى البركة التي تعثرت فيها "تريشيا" عندما كانت طفلة:

- وهذا الجانب ايضا . وترك ايضا شريطا من الأراضي بطول النهر تمنع عني الوصول إلى الماء.

شهقت "تريشيا":

- لكن هذا الجزء يحتوي على كل الماء المتاح ! إنه جنون ! لقد كان يهذي!

استمر "شوك" - الذي يعطي النافذة ظهره - في تفرسها .

- لتنظري إلى حقيقة الأمر يا "تريشيا" . إنك لم تتركيه حتى اليوم الأخير . هل تعتقدين بصدق انه فقد رشده؟

- إذا كان "بادي" تصور انه يستطيع حرمان مواشيه من الماء فإنه لم يكن في كامل قواه العقلية بالتاكيد . أو انه فعل هذا عن عمد .

- بالضبط . لقد فعل هذا من أجل أن يعطيك "جرين هيلز".

- الأمر يبدو طبيعيا من وجهة نظرك.

قال مفسرا وقد بدا صبورا جدا :

- ادفع لك حق دخول المواشي إلى الماء وهذا ما يفسر وجود السندات وهكذا وفر "بادي" عليك الموارد للاحتفاظ بالمنزل .

تذكرت "تريشيا" اليوم الذي صرحت فيه لـ"بادي" أن المنزل والأراضي المحيطة به تكفيها . هل هي إذن السبب في هذه المشكلة؟ لا ، لن تسمح لـ"شوك" بدحض رأيها . إنه مخطئ!

- لكنك في الحقيقة يا "شوك" تمتلك المزرعة وانا لا امتلك إلا منزلا كبيرا فارغا .

نهضت "تريشيا" وهي تشعر بالإحباط.

امسكها مرة أخرى . لكنها لم تقاوم . خفضت راسها واغمضت عينيها . أجبرها على الاستدارة نحو النافذة.

قال أمراً :

- انظري .

. اكتشفت التلال الخضراء على مرمى بصرها . لقد ترك هذه الأرض إلى رجل قادر على اغتنامها ... إلى رجل لن يتخلى عن مزرعة المواشي ولن يترك المراعي إلى متعهد ليجعل منها مركزا تجاريا .

- وبما انه لا يمكنني أخذ كل هذا على عاتقي وانا في "فلوريدا" فكل هذا سيبقى حول هذا المنزل الذي تمتلكينه .

قالت ونظراتها مليئة بالحزن :

- فهمت جيدا ما أوضحته لي لكن هذا لن يواسيني . ألا ترى أن الضرر لحق بي مما كان ينبغي أنت يعود إلي ؟

- تعتقدين أنه لم يحبك بالقدر الكافي لأنه لم يترك لك كل شيء، اعترفي بهذا . وبما انك لاتحتملين هذه الفكرة ترين انه من الأسهل أن تعتقدي أنني غدرت بك واثرت عليه . ألا ترين يا "تريشيا" أن الحقيقة ليست شاقة بهذا القدر ؟ لست مذنبا . و"بادي" كان يحبك . لقد فعل هذا من أجلك وليس ضدك . ما المؤثر في وجود الاسم على العقد؟ بالنسبة لي فإن "جرين هيلز" ملكك .

تركته يحتضنها وهي تعرف أنه اخبرها بالحقيقة . تاملت التلال لكن الاختلاف موجود !

***

أوقفت "تريشيا" "عظمة" على قمة الربوة وتاملت البركة. لقد ارادت أن ترى إرثها عن قرب وتلمس الأرض . سمعت صوت حوافر الحصان "آفاق" . إنه "شوك" الذي ابتدع فكرة النزهة هذه .

قالت هي تطأ الأرض بقدميها :

- المكان جميل هنا حقا . إنه المكان الذي كنت احلم بتشييد منزل فيه .

ربط "شوك" حصانه ثم امسكها من كتفيها .

- هل تقترحين علي الإقامة هنا ؟

ابتسمت :

- هذا جميل جدا ، أليس كذلك يا "راعي البقر"؟

www.elromancia.com

لم يكن "شوك" ينوي قط أن يبني هنا أو في أي مكان آخر . لقد أخذ عهدا على نفسه بأن يمنحها الوقت للموافقة لكنه لن يتركها تبتعد .

- إذا شيدت منزلا هنا يلزم أن أشتري الأراضي منك ويلزمني المرور على البركة. وحينذاك سامرر مواشي . لكنني سانسى أن أدفع لك اجرك . وعندما تتحطمين ستتوسلين إلي بأن أشتري منزلك . إنها ليست فكرة طيبة إذن .

انفجرت "تريشيا" في الضحك وتركت نفسها تسقط على العشب وخلعت حذاءها .

- لست حمقاء بمجرد أن يشيد المنزل يكفيك أن تحفر آبارا .

- لكن ماذا ستفعلين يا "تريشيا"؟

نظر إليها بدهشة.

- سأسبح . هل ستصطحبني ؟

- نحن في منتصف شهر "أبريل" . ستتجمدين !

اقتربت منه . مررت يدها في شعره . هل هذا ما تبحث عنه ؟

كان هذا هو السؤال الذي وجهته لنفسها .

أمطرها "شوك" بسيل من القبلات وأقسم ألا يدع أي شيء يبعدهما عن بعضهما البعض.

أحست "تريشيا" أنها استعادت ما فقدته . إنه ملكي وكان ملكي دائما والآن سأحتفظ بما أمتلكه".

الفصل العاشر

سألت "تريشيا":

- هل تعتقد أن "روز" أعدت لنا عشاء؟

- هل أنت جائعة؟

قالت متذمرة:

- إنني أتضور جوعا .

تفحصت "تريشيا" مشيته المضطربة وعينيه الداكنتين ووجهه الهادئ.

سألته :

- هل لدي نفس هيئتك؟

قال مبتسما :

- كيف هذا ؟

- هيئة شخص متعب من الحب .

- نعم ، بالفعل.

ذهب الاثنان إلى المنزل . أمسكت "تريشيا" مقبض الباب وفتحه "شوك" بركلة من قدمه . ملأت ضحكاتها الصالة . تسمر "شوك" فجأة.

www.elromancia.com

توترت "تريشيا" لما شعرت بتوتره . نظرت إلى ما ينظر إليه . كان هناك ثلاثة رجال واقفين في نهاية الدهليز . كان أحدهم يدعى "بوكولبي" . خمنت في ظل هذا الصمت المخيم شخصية الاثنين وهما "ناتان" و"جارات" . بدا "شوك" مذعورا .

تساءلت "تريشيا" عما يفعلونه هنا . تقدم "بو" الضخم . كان مرتديا بذلة غريبة وخاتما كبيرا في خنصره الأيمن . نزع سيجارته من فمه عندما مد "شوك" يده إليه.

- يالها من مفاجأة يا أبي ! كان يجب أن تخبرني .

أحست "تريشيا" بأنها على حافة الهيستريا . تجاهل "بو" يد ابنه الممدودة وعانقه وهو يكافئه بضربات خفيفة على ظهره .

- منذ متى وآل "كولبي" يتصافحون باليد؟

هل هذا هو الرجل الذي تحدث "شوك" عنه ؟ هل يمكن أن يكون هذا الأب السعيد بالعثور على ابنه بعد سنة من الانفصال سيئا ومكارا ؟ بدا أن التوتر يتلاشى بفعل السحر . ظلت "تريشيا" بعيدة عندما تقدم أخوا "شوك" . استقبل "جارات" ذو الشعر الأسود والعينين الزرقاوين الغامقتين أخاه الأكبر بحماس . كان "ناتان" يشبه "شوك" مع عينيه وشعره المرمري . كان لقاؤهم هادئا ورائعا .

لقد تصافحوا بالأيدي قبل أن يتعانقوا.

سأله "بو":

- هل تقدم لنا صديقتنا؟

قال "شوك" وهو يمسك يدها :

- "تريشيا رايلي" ابي "بور جارد كولبي" وأخواي "ناتان و"جارات".

- سيدتي .

أطبقت يد "بو" الضخمة على يد "تريشيا" لكنه قطب حاجبيه لدى سماعه اسمها ، وشعر بالخوف.

كرر قائلا:

- "رايلي" . ابنة "باتريك رايلي"؟

أكدت بحذر:

- نعم.

ماذا يعرف عن أبيها ؟

- مرحبا بك في "جرين هيلز" يا سيد "كولبي".

رد "بو" بابتسامة مليئة بالتواطؤ:

- كان ينبغي علي أن أخمن أن "شوك" دعاك للبقاء هنا . إنه أرق أولادي.

فتحت "تريشيا" فمها لترشده إلى الحقيقة لكن "شوك" سبقه.

- لم أدعها . إنها في منزلها .

غطى الاضطراب عيني "بو" . استشاطت "تريشيا" غضبا.

- أعتقد أنني فهمت أن "باتريك رايلي" أوصى لك بمزرعته.

قال "شوك" ببرود:

- غير صحيح يا أبي .

قاطعته "تريشيا" :

- لقد ترك أبي حق استغلال المواشي لـ"شوك" يا سيد "كولبي" لكنه ترك لي المنزل .

رأها "شوك" تقطب حاجبيها وكتم ضحكته وتذكر مقابلتهما الأولى . كان سلوكها يقول: " إن وجودك هنا لا يعني أنك موجود في مكانك ". كانت نظرةواحدة إلى "بو" تكفيه لأن يرى أن أباه فهم الرسالة .

قال بنبرة قاطعة:

- لك كل اعتذاراتي يا سيدتي أخشى أن أخبرك أننا منحنا أنفسنا حرية لا عذر لها . قلت لأبنائي أن يفرغوا حقائبنا في غرف الأصدقاء.

- لا عليك يا سيد "كولبي" . مرحبا بك . يمكنكم البقاء ، أرجوكم.

قال "بو" وهو يرسم ابتسامة متملقة:

- هذا كرم منك إذامررت بـ"تكساس" فإن مزرعتي مفتوحة لك.

- شكرا . والآن بعد إذنكم لابد أن أساعد مديرة منزلي في إعداد العشاء.

واختفت بكل وقار وهي تلعن آل "كولبي".

كان العشاء محترما . تناولت "تريشيا" و"روز" نظرات التواطؤ أكثر من مرة لما شاهدا جبلا من الطعام يختفي بسرعة .، لم تتذكر "تريشيا" لحظة واحدة توقف فيها أحدهم عن الكلام على الرغم من التهامهم

www.elromancia.com

للطعام ! حكى "جارات" عددا من القصص وسط ضحكاتهم . لقد تخيلت "تريشيا" دائما الوجبات الأسرية على هذا الشكل . سأل "شوك" عن أخبار أمه وأخته و"بي چي" الذي بقي للعناية بالمزرعة .

كان "ناتان" جالسا على يسار "تريشيا" . كان هو الشخص الوحيد الهادئ في هذه العصابة وأكثرها شبابا . عمره يصل إلى الخامسة والعشرين وله نفس الابتسامة غير المكترثة والنظرات الثاقبة التي يتسم بها "شوك" . كانت تنظر إليه فقد كانت عيناه تنتقلان - من وقت لآخر - من أبيه إلى أخويه ورات فيهما طموحا شديدا مثلما اكتشفت ذلك في عيني "شوك".

سأل "جارات":

- هل تهتمين بالماشية يا "تريشيا"؟

ابتسمت واندمجت في الحوار:

- لا ، أبقى مع الخيول في مزرعة "وينستون".

دهش "ناتان" :

- مزرعة الخال "ستان"؟

- نعم.

- كنت اشتاق لرؤيتها . أتذكر أنه سمح لي بالمجيء إليها حينما كنت في الثانية عشرة من عمري . قضيت بها أجمل فصل صيف في حياتي.

تذمر "بو" غير السعيد:

- إنه لم يسمح لك بالمجيء . لقد تسللت يا بني ونقص وزنك خمسة كيلو جرامات لأن "ستان" جعلك تعمل مثل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة ليردك عن الرجوع وكسر قدمه ...

قاطعه "شوك" بحمية:

- أبي.

"قال "بو" بدون رقة:

- لا تنادني بـ"أبي" . اذكر عندما اتصل "ستان" بأمك ليخبرها أن "ناتان" موجود على أرضه ويسألها عما ينبغي أن يفعله.

توترت "تريشيا" . بدا فجاة صوت "بو" مشحونا بالكراهية . ألقى

"شوك" عليه نظرة دامية .لمحها "بو" وابتسم.

سأل "شوك" ليعيد الرقة إلى الحوار:

- كيف حال العجول في هذه السنة؟

استدارت "تريشيا" نحو "ناتان" وهي تفكر .

قال "ناتان" بصوت منخفض :

- صحيح أنه جعلني أعمل باستمرار لكن هذا لا يمنع من أنني قضيت صيفا ممتعا .

استرخت "تريشيا" وابتسمت . كان واضحا أنها أحبت "ناتان".

- خسارة أننا لم نتقابل من قبل .

- على ما اتذكر أن هناك من كان يقطن بالمزرعة المجاورة لكنه كان شخصا كريها ويحتفظ بالحراس ليل نهار والمسدس في يده.

- نعم . كانت الحرب قد بدأت. حكوا لي أن خالك كان مجنونا قادماً من "تكساس" ويسير دائماحاملا مسدسا في حزامه .

بحث "ناتان" عن سيجارة في جيبه.

- أتذكر أيضا شخصا يعمل لدى خالي . إنه رجل طيب ذو شخصية حادة قليلا.

- "رالف بورجيس".

- نعم ، هو ذا . أمازال موجودا هنا ؟

- بالتأكيد .

- لقد حبسني ذات مرة في مربط حصان فترة ما بعد الظهيرة. فاجاني وانا أحمل براميل على حصان؟

- تحمل براميل على حصان في مزرعة "وينستون" ؟ إنك محظوظ لأنك خرجت حيا من هنا !

- أووه.. لكن هذا كان متعبا ومع ذلك أردت العودة مرة أخرى!

- هل يسعدك أن تصطحبني صباح الغد؟

- أتتحدثين بجدية؟!

- حسنا ، موعدنا في المطبخ في السادسة.

***

كانت "تريشيا" جالسة على سور المضمار وهي تمسك في يدها قطع

www.elromancia.com

السكر لتجذب الحصان المسمى "القاهر" إليها . كانت الليلة باردة وهادئة بشكل غير معقول .

بدا لها أنها لم تتوقف دقيقة واحدة طوال هذه الأيام الثلاثة الأخيرة. يالها من سلالة غريبة!

لكن بعد كل هذا ماذا تعرف هي عن "الأسر"؟ كانت متأكدة أن "شوك" يحب هذه الأسرة فقد كانت تفاجئه أحيانا وهو يتفرس في أخويه بعينيه الشرهتين كما لوكان لم يستطع تأملهما بالقدر الكافي .

لكنْ هناك شيء ما في هذا الحب الأسري يبدو أنه يضعفهم ويجعلهم متأثرين بدلا من أن يجمعهم . لم تشعر "تريشيا" بالارتياح . إن "بو" يعرف كيف يمنع التجاوز في المشاعر عندما يبدو أن أبناءه يعرضون سلطته إلى الخطر.

بدا أن "جارات" قد تعود على ذلك ويكتفي برفع كتفيه عندما يذكرهما "بو" بالنظام.

تذكرت "تريشيا" الوقت الذي ضيعته في تمنيها أن يكون "بادي" مختلفا لكن فيم تفيد استنباطات ال"كولبي" إذا كان لا يمكن الاعتماد عليها ؟ إن "تريشيا" تعرف على الأقل أنه يمكنها الثقة بـ"بادي".

اقترب "القاهر" ومدت "تريشيا" يدها لتقدم له السكر . جعلها فستانها الأسود الستاني غير مرئية تقريبا في الليل ، لم يكن يبدو ظاهرا إلا صوت سياطها لكنّ صوتا مخنوقا لأقدام جعلها ترتجف وتتراجع .

أدارت "تريشيا" رأسها ورأت "شوك" الذي ظهر من الظلام.

- الوقت متأخر يا سيدتي . لماذا لم تعودي حتى الآن ؟

وجدته "تريشيا" وسيما للمرة الأولى .

- لقد أنجبت "ساسي" مهرا أصفر ولابد أن "جراند كلاس" ستضع مولودها الليلة.

استند "شوك" إلى السور . احتضنها وأحست بأنها تذوب .

- هل هذا يعني أنك ستبقين الليلة هنا ؟

- لا أعلم ، ربما ...

- إنك أيضا لم تعودي ليلة أمس . إنني أفتقدك يا "تريشيا" . أحتاج إليك .

دفع نفسه نحوها .

- لا ، أرجوك يا "شوك".

كانت تنتحب تقريبا .

- ماذا حدث؟

أمسك وجهها بين يديه.

- أخبريني . هل ضايقك أحد من أسرتي ؟ هل لهذا علاقة بـ"ناتان"؟

لاحظت أنه يقضي كل النهار معك هنا.

تنهدت وجبهتها على صدره :

- "ناتان" . لا ، إنني أحبه . إنه رائع.

- متفق معك لكن ماذا هنا لك إذن ؟

كيف تعترف للرجل بأن أسرته أفسدت أحلامها ؟ كيف تقول له : إنها تشعر بأنها مسلوبة ؟ تمسكت بذراعي "شوك" قبل أن يجتاحها إحساسها . فتحت يدها الممسكة بقطعة السكر وأعطت الحصان إياها من فوق السور .

همست :

- تمكنت من إطعام هذا الحصان بيدي . ترى أنني استطعت هذا .

- هل تعلمين أنني لم أرك من قبل تفعلين هذا ؟

- ماذا ؟

- أتحداك . إنهم سيرحلون في خلال يومين . هل يخفف هذا من ضيقك قليلا ؟

- "شوك" ، أنا متأسفة . أعلم أنك ستفتقد أخويك ، وهذا مالا أتمنى حدوثه . ظننت دائما أنه إذا لم تمت أمي ولم يكن لدي أخ أو أخت أو أسرة حقيقية مثل أسرتك ... كانت حياتي ستصبح عظيمة.

ثم قالت بصوت مرتعد :

- لكن كان لدي "بادي" لكن الأمر لم يكن بهذا السوء...

قال "شوك" لنفسه : لقد آن الأوان . أخيرا ... بعد كل هذا الوقت استسلمت للحزن حتى يمكنها اجتيازه.

أيدها قائلا :

- لا ، إنه لم يكن سيئا إلى هذه الدرجة.

وضعت رأسها على ذراعيه وقد هزها نحيبها .

- لم أعد متذكرة أي شيء يا "شوك" ... لا أتذكر أيضا إذا ما كنت قد أخبرته انني أحببته .

- كان يعرف ذلك يا "تريشيا" . هيا ، ابكي دفعة واحدة . إنني موجود هنا .

تركت السكر يسقط وانتحبت بشدة.

حملها "شوك" واقتادها نحو الحظيرة.

- أحبك يا "تريشيا".

- لم تقل لي هذا قط . كنت أحتاج إلى سماعها . أحبك يا "شوك" ، أحبك لم يعد موجودا بينهما هذا الإحباط القريب من الحماقة . إن كلمة الحب يمكن الثقة بها وتوضح اتحادهما في هذه اللحظة...

***

اختفى المضمار في ظل سحابة كثيفة . سُمع صراخ وسعال . كان "ناتان ممتطيا حصانا مدربا قبل ذلك و"تريشيا" تمتطي حصانا جامحا . كان الميقاتي موضوعا في مكانه ولم يعد أمامهما سوى انتظار تلاشي هذه السحابة . لقد قضى "ناتان" ليلة البارحة وقتا مدهشا مع مهرة - لكن سرعته وتوازنه التام لم يدهشاها .. يبدو أنه يمتلك الحاسة السادسة . كان كافيا بالنسبة له مثل "تريشيا" أن يتحاور مع الحيوانات .

صاح "رالف":

- هيا بنا ، لقد تحسن الجو .

وقف الفارسان في نهاية الخط الأيمن.

قالت "تريشيا":

- تحكم في المهرة يا "ناتان ولا تسرع ، نريد ببساطة أن نرى إذا كانت ستستمر في الجري وراءك أم لا .

خفض "رالف" ذراعه ورحل الاثنان . كانت "تريشيا" تعشق الجري في هذه الرياح.

قالت "تريشيا":

- إذا كان وزنك خمسة وعشرين كيلو جراما لأصبحت فارسا مميزا .

- عندما علمت أن "ستان" أوصى بهذه المزرعة إلى "شوك" شعرت بالغضب والغيرة . كانت هذه الحياة تروق لي تماماً لكنني اخترت تربية المواشي وفكرت في امتلاك مكان خاص بي .

لقد أخبرها "شوك" أن آل "كولبي" لايغادرون المنزل أبداً لكن "شوك" رحل وسيتبعه "ناتان".

- إنني سعيد من أجلك . أمل أن تدعوني لزيارته .

- عندما ترغبين ، في أي وقت .

ابتسم لها .

- هل تعرف يا "ناتان" أنني كنت ساقع في حبك إذا لم أكن قد أحببت "شوك"؟

- حقا؟

احمر وجهه خجلا ثم انفجر في الضحك.

- هل ستتزوجان قريبا؟

- لا أعلم . لدينا الكثير لنتعلمه .

- لقد أحسنت صنعا لما وقعت في حب "شوك" . إنه طيب ويمكنك الاعتماد وعليه فهو الصديق والعاشق والأخ.

قالت وهناك دمعة توشك أن تسقط:

- أعلم يا "ناتان".

أعادا حصانيهما إلى "بود جنكينز" ليعيدهما . أحاط "ناتان" كتفها بذراعه.

وتوجها نحو الحظائر . وهناك تركها ليحزم حقائبه .

-سافتقدك يا "ناتان" . أعلمني باخبارك وارجع لرؤيتنا بسرعة.

***

انفتح باب المكتبة . رفع "شوك" عينيه من على أوراقه . دخل "بو" وألقى نظرة على ما حوله .

قال :

- مرحبا بكاس شراب .

كان يمضغ السيجارة . أخرج "شوك" زجاجة شراب وكاسين وملأ إحداهما لأبيه .

www.elromancia.com

- ألن أزعجك على الأقل يا بني ؟

كان "شوك" يعلم أنه حتى لو ضايقه فإن "بو" يسخر منه .

- كلا بالتأكيد . هل لديك شيء بعينه تود قوله لي أو أنه مجرد حوار وداع؟

- دائما أنت مرتاب ، أليس كذلك ؟ وعنيد . تتذكر عندما قلت لك: إنك ستعود قبل سنة؟ كان لابد لي أن أشك في أنك لن تستسلم.

انتظر "شوك" الساكن بقية كلامه.

استطرد "بو":

- كنت أسال نفسي في أغلب الأحيان عما كان سيحدث إذا لم أترك خير أبنائي يرحل .

ذكره "شوك" قائلا :

- لا أعتقد أنني طلبت منك الإذن.

- على أية حال فإن روحك الاستقلالية تقف حائلا أمامنا إذا كان ينبغي علينا العمل معا .

رفع كأسه :

- لنشرب نخب عيد استقلالك الأول.

ذهب "بو" للجلوس على الأريكة وبدأ ينظف أظافره بسكين.

- رحيلك أعطى أخاك أفكارا، عثر "ناتان" على مزرعة في شمال "دلاس" ويرغب في شرائها والاستقرار بها .

- هل ستتركه يرحل ؟

أحس "شوك" باضطراب في معدته . لقد عرف السبب الذي دعا والده إلى السفر إلى "فرجينيا" . رفع "بو" عينيه .

داعب "شوك" ندبته . تذكر "بو" . لقد فقد "شوك" في هذه اللعبة دون أن يتحدث عما فعله "أندرسون" لكن كرم "شوك" اليوم سيفيده .

- ماذا تريد؟

عرف "شوك" أن والده يستطيع تدمير "ناتان".

أخرج "بو" مجموعة أوراق من جيبه وألقى بها إلى "شوك" . نظر كل منهما إلى الآخر .

ثم تفحص "شوك" الوثائق.

قال ملخصا :

- تريد مزرعة "وينستون" و"جرين هيلز" . من المفترض أن أوقع على هذه الأوراق والبقية تأتي ، أليس كذلك؟

- بدون مساعدتي لن يعثر "ناتان" على المال بسهولة.

- وخصوصا إذا كنت ستعرقل مسيرته .

- بالتأكيد لا يمكنني الضغط على كل رجال البنوك لكن "ناتان" لايمتلك عزمك وسيستسلم في النهاية بعد سلسلة الاعتذارات.

نهض "شوك" ونظر من النافذة.

قال "بو" :

- ليس عليك إلا أن تحول حقوقك الخاصة بـ"رويال سي" . الأمر بسيط للغاية يمكنك البقاء هنا كوكيل. لقد أعددت العقد . ستتحرر من إدارتك . لن أتدخل أبدا . لن يتغير أي شيء سوى الاسم في العقد . وساعمل على أن يشتري "ناتان" مزرعته .

تذكر "شوك" وعده لـ"تريشيا": "جرين هيلز" ملكها الخاص . هل صدقته ؟ استدار نحو أبيه .

- أولا لست مالكا لـ"جرين هيلز" . ليس لي إلا حق الانتفاع بها، وكل أسطولك من موثقي العقود والمحامين لن يتمكنوا من فعل أي شيء . لقد تعلمت الدرس.

ثم أضاف بابتسامة انتصار:

- استدعيت موثق "بادي" منذ اليوم التالي لوصولك.

تذمر "بو" وألقى السكين على المائدة المنخفضة.

- لن تتحسن يا ولدي . ألم تكن قادرا على إقناع هذا العجوز الميت ؟ ألم تدر كيف تحظى بالمنزل والمواشي والأراضي كما فعلت مع العجوز "ستان" ؟ ألم تعرفه إلا بصعوبة ؟ لقد فحصت بنفسي إيصالات التليفون في السنوات العشر الأخيرة عن طريق "بي جي" وهذا الوغد نفسه عينك الوصي العام . كيف لم تصل إلى نفس النتيجة مع "رايلي"؟

احتوى "شوك" غضبه في صمت ، نهض "بو" وهو يتنهد كما لو كان سيبدو رحيما .

www.elromancia.com

- اسمع ، وقع على الأقل عقد مزرعة "وينستون" وساقبل مساعدة "ناتان".

قال "شوك" بابتسامة باردة:

- لم أعد أمتلك المزرعة.

تمتم "بو":

- ماذا قلت ؟

- أظن أنك فهمت جيدا . لم أعد أمتلكها . لقد تنازلت عنها إلى "تريشيا رايلي".

- أمنحتها إياها ؟

- بالضبط . قمنا بنوع من التبادل.

- أحمق ! أبله! لا يوجد أي فرد من آل "كولبي" في "تكساس" تخطر بباله فكرة التنازل عن أراضيه.

لكن "آل كولبي" في "فرجينيا" لا يهتمون بها .

مشى "بو" بخطوات سريعة نحو الباب وفتحه بخشونة.

- الأرض هي القوة يا بني . السلطة . ستتذكر حتى موتك إن أمسكت حرية أخيك بين يديك ، وتركت هذه السلطة تفلت من بين يديك!

- من فضلك اترك "ناتان" يرحل إذا كان يتمنى هذا . لن يفيدك في شيء إذا شعر بالضغينة نحوك.

أقسم "بو" بحمية:

- أبدا ، لن أتركه طوال حياتي . أما أنت : فإنك لن تنسى هذا اليوم أبدا طوال حياتك.

الفصل الحادي عشر

لطفت الرياح الجنوبية نضارة الليل . قاوم الربيع مجيء الصيف المبكر.

أيقظت أولى طلقات الرعد "تريشيا" . اعتدلت وقلبها ينبض . لقد شعرت بالخوف منذ أسابيع أحست أن هناك شيئا ما لا يسير على ما يرام . شعرت بتهديد خفي يوشك أن يفترسها مثل العاصفة الجامحة.

كانت حجرة "شوك" مظلمة . كانت النار في المدفأة شبه ميتة . كان الكرسي الهزاز يتارجح كما لو كان قد تركه أحد في التو . "شوك" ... كان مكانه بجانبها فارغا . أدارت رأسها ورأته أمام النافذة يتأمل المطر الذي يتخبط بزجاج النوافذ . كان مرتديا ملابسه كما لو قد قرر أن ينهض وغير فكرته بعد ذلك.

كشف لها وميض البرق عن وجهه القلق . أحست "تريشيا" بالخوف يجتاحها : إنها ستفقده . كان الهجوم يزداد ضراوة كل يوم . لقد ماتت أمها مبكرا جدا حتى إنها شعرت بالحزن . لم يكن "بادي" موجودا دائما وقد توقعت موته . المزرعة...

www.elromancia.com

إنها لم تمتلكها قط. لكن فقدان "شوك" بهذه الطريقة قاس عليها .
لقد بدا هذا منذ عدة اسابيع ، في ذلك اليوم الذي رحلت فيه اسرته .
لم يعد يتحدث معها وهي تجهل ما يخيفه . كانت تعرف أن "بوكولبي" مسؤول عن هذا الوضع لكنها لا تعرف ما حقيقته .
نادته بهدوء :
- "شوك" .
لم يتحرك الرجل . كان يتجاهلها مثلما حدث في الأيام السابقة.
بدا الغضب في صوتها .
- لا يمكنك الاستمرار على هذه الحالة. لن أسمح بحدوثها .
قال بنبرة مضطربة:
- لا يمكنك فعل أي شيء.
- لن أوافق .
تركت السرير وعبرت الغرفة واحتضنته :
- لا أريد أن أفقدك .
أغمض "شوك" عينيه وهو سعيد بحضنها . اجتاحته عاطفته المزوجة بالكبرياء . امراته ، منزلها وحياتها ، ثم اتعبه الغضب والاستئثار ، يالها من نار تلك التي سيقع فيها على حساب حرية "ناتان" .
تخلص من ذراعيها ودفعها برقة ورأى المعاناة في عينيها .
قال واعدا إياها .
- لن تفقديني . لكن لابد لك أن تتركيني أتدبر هذا الأمر بنفسي . صدقيني يا "تريشيا" ، فهذا أفضل لنا .
همست بسخط :
- أتعتقد هذا ؟! كيف يمكنني الثقة بك؟ صدقتك مرة واخذت أرضي وقتلت حصاني!
تراجع وقد لمعت عيناه .
- منذ متى وأنت تحتفظين بهذا داخلك؟
- منذ وقت طويل ، طويل جدا .
حطمه الألم كثيرا لكنه لم يجد أي حجة.

- أعتقد أنني سددت ديني بخصوص حصانك.
ثم مد يده إليها بلفافة الأوراق التي أخذها من على مكتبه .
- وصلت هذه الأوراق اليوم ولابد أنها سترضيك.
بما أنها لم تتحرك. القى بالأوراق التي سقطت على الأرض . لملمتها وبدأت تقرؤها في ظل النور الخفيف . كانت الصفحة الأولى عبارة عن تنازل :
أقر أنا الموقع أدناه "شوك كولبي" أنني أتنازل عن حقوقي في إرث "باتريك رايلي" على أن تنقل ملكيتها إلى "تريشيا رايلي"...
همست بدهشة:
- لا أفهم شيئا .
- "جرين هيلز" . ملك لك كلها .
أشعل سيجارة ثم حطمها في طفاية.
- كل هذه اللغة القانونية ضرورية لإبداء حق الانتفاع . إذا كان الهدف من ورائها الهبة فقد يكفي التوقيع فقط لكي يعود كل شيء إليك لكن كان يلزمني أن اقنع "لامبرت" أنك لن تهملي المزرعة. لم يعد متبقيا إلا توقيعك حتى يصبح كل شيء صحيحا من الناحية القانونية.
- لماذا فعلت هذا ؟
- يمكنك توجيه الشكر إلى أبي .
كررت قائلة:
- أبوك على أي شيء ينبغي أن أشكره؟ على هذا البرود البادي في عينيك وفي قلبك؟ على صمتك ؟ لقد تسبب في ندبتك هذه ، أليس كذلك؟ إنك تلمسها في كل مرة نتكلم عنه فيها . وتهرب. مني لماذا ؟ ماذا أفعل؟
- لا أود التحدث عن هذا .
- أرى هذا. كان ينبغي علي الثقة بك لكن العكس غير صحيح.
ألقت الأوراق في النار . ثم قالت :
- لا أريدها .
توهجت النار وفني كل شيء . اقترب منها وهو دهش .
- لاتريدينها ؟ ماذا يعني هذا ؟

- اعني ما قلته تماما : لا اريدها !

امسكها من كتفيها بغضب وهزها . صاح فيها قائلا:

- لكن لسنا وحدنا المعنيين بهذا . "ناتان" دخل في القضية ! ليس لـ"جرين هيلز" او انت او انا ! "ناتان"!

ادرك انه يؤلمها بمسكته وتركها .

تنهدت قائلة:

-"ناتان" ، كيف هذا ؟

قال متذمرا :

- هذه ليست مشكلتك يا "تريشيا".

قالت ساخرة:

- كيف حكمت عليها هكذا ؟ اتعتقد انه لا يمكنني الحزن عليه مثلما احزن عليك؟ الا تعتقد انني احسست بالتعاطف معه طوال هذه الأيام التي قضيتها معه ؟ الأمر يخصني وإذا كان لديه متاعب فإنني اريد معرفتها .

قال "شوك" بخشونة:

- لن يمكنه الحصول على مزرعته . في اليوم الذي رحل فيه ابي اراد ان اوقع له على عقد تنازل عن "جرين هيلز" و"رويال سي" . إما ان يكون الأمر هكذا أو انه سيتدبر امره بان يمنع اي بنك في "تكساس" من الموافقة على إعطاء "ناتان" اي سلفة لكن للأسف فانا لا امتلك المزرعتين .

- إذا كان يمكنك التوقيع فهل كنت ستوافق؟

- لا اعلم ، ربما . ماذا تعني الأراضي مقابل حرية رجل ؟

افزعهما رنين التليفون. رفع "شوك" السماعة.

قال:

- إنه من اجلك. "بورجيس".

امسكت "تريشيا" التليفون وتابعت "شوك" الذي غادر الغرفة بنظراتها المحبطة.

نعم يا "رالف".

- ستضع "سيكمورا" مهرتها .

اغمضت عينيها ولم تشعر بالاهتمام الشديد.

- إنها اللحظة المتوقعة ، اليس كذلك؟

- بلى، لكن لا يوجد احد هنا .

- هل اتصلت بـ"ويكوف"؟

- نعم لكنه رحل في امر عاجل .

- وجريفت"؟

- اتصلت به منذ عشرين دقيقة لكنني لم اعثر عليه . هناك واحد لكنه لن يستطيع الوصول قبل ساعة على الأقل وهذا هو الوقت الذي يلزمنا تقريبا . علينا أن نتدبر أمرنا .

- حسنا، إنني قادمة.

أسرعت نحو حجرتها لترتدي ملابسها . أخذت ورقة من درجها ونزلت السلم مسرعة . عثرت على "شوك" في المكتبة وهو يمسك كأس الشراب في يده. القى عليها نظرة عابرة.

- هل ستخرجين ؟

قالت وهي تتقدم لتضع الورقة على المكتب :

- أمسك ، أعط "ناتان" هذه.

سألها بوضوح:

- ما هذا ؟

- حجة ملكية المزرعة.

- إنك تمزحين دون شك؟

- هل يبدو علي انني امزح؟

ارتدت قفازيها دون أن تتوقف عن تفرسه .

كان "شوك" يغلي من الغضب . يبدو انه لا توجد حدود لخيانة ابيه . لقد جاء الدور الآن على "تريشيا".

- لا يمكنك التخلص منها بهذا الشكل .

- الم تقل لي : إنه إذا كانت "جرين هيلز" في حوزتك لكنت قد تنازلت عنها ؟ حسنا ، استلمت مزرعة "وينستون" وانا اوقع من أجل التنازل عنها .

- إنني لا اتكلم عن الشكل القانوني . لا يمكنك .. التنازل عن هذه المزرعة بهذه البساطة .

www.elromancia.com

- لماذا ؟

قال وهو يضرب بقبضته على المكتب :

- لأن ...

قالت وهي تتجه نحو الباب :

- إنه سبب رائع حقا . إنها مزرعتي ويمكنني أن افعل بها ما اشاء . عندما يمتلكها "ناتان" سيفعل بها ما يريده.

- "تريشيا"! أقدر كثيرا رغبتك في مساعدة "ناتان" لكن ليس لك اي علاقة بمشاكل ال "كولبي".

- غير متفقة معك . إن مشكلتي الكبرى هي أحد افراد ال "كولبي" . انت. اما بخصوص المزرعة فإنني اعتقد انه طبيعي ان تعود إلى أحد اقارب "وينستون" . انت وانا يمكننا الحصول على عمل من أجل "ناتان" لكن هذا ما لايتمناه . إنه يريد مكانا خاصا به. إنني افهمه واشعر بنفس إحساسه . إنه لا يبحث عن وظيفة يا "شوك" ، إنه يبحث عن منزل . المزرعة ليست منزلي الحقيقي يا "شوك" . منزلي هنا بالقرب منك.

إنه لم يسمع شيئا إلا صوت إغلاق الباب .

***

كان الجو حارا ورطبا في الإصطبل . دخل "شوك" إليه دون ان ينتبه . اختلطت التنهدات الثقيلة للفرس التي ستلد مع صوت المطر على السطح. كان "رالف بورجيس" جالسا على عنق الفرس ويمنعها من النهوض . امسكت "تريشيا" الجالسة على الكلأ السلسلة المربوطة بقدم المهر المولود وكان "توم تراڤيس" ابن "دان" يمسك القدم الأخرى . حاولا - بلا جدوى - أن يديرا الحيوان الصغير .

استرخى المهر مع تنهيدة عميقة . خفضت "تريشيا" ذراعيها. جففت جبهتها بكمها .

اكتشفت وجود "شوك" أمامها حينذاك ، تفرسا في بعضهما البعض لحظة وتذكرا لحظاتهما الماضية في نفس هذا المكان .

قال "توم" مرة ثانية:

-"تريشيا" اجذبي ..

جذبت "تريشيا" بكل قوتها ، تخلصت ساقا المهر . لقد مرت المرحلة

الصعبة.

سينتهي كل شيء في غضون عدة دقائق لكن الوقت بدا طويلا.

قال "توم":

- إنه مهر ويبدو قويا .

بدأت "تريشيا" تضحك واستندت إلى الحائط . سارت الأم ووليدها على أقدامهما.

استدارت "تريشيا" نحو "شوك" والابتسامة تعلو شفتيها لكنه كان قد اجتاز الباب . القى نظرة على "سيكمورا" ثم على البندول. كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة بالضبط .

قالت وهي تتامل الوليد القوي:

منتصف الليل سنسميه "منتصف الليل".

غسلت يديها وجففت وجهها ثم ارتدت قبعتها وخرجت . لقد توقفت الأمطار.

كان الهواء هادئا وصافيا . توجهت نحو إصطبل "القاهر" . كان الفرس يغدو ويروح في هدوء.

قالت لـ"شوك":

- جعلته عصبيا.

- نحن متعادلان إذن . هو أيضا جعلني عصبيا.

أخرجت السكر من جيبها واستندت إلى السور .

- هيا ، لاتخش شيئا يا بني . انت ولد رائع.

أتى "القاهر" لتناول السكر من يدها ثم مد رقبته طلبا للمداعبة قبل أن يختفي في ظلمة الليل بسرعة.

همس "شوك":

- أريد أن أشنق نفسي. قلت : إنك ستجعلينه ياكل من يدك ونجحت في ذلك!

- الأمر ليس صعبا . هناك جموح ...

احمر وجه "شوك" خجلا وخفض راسه.

- لا أعرف إذا كان ينبغي علي أن اقبلك أو اعتذر لك . عملت كثيرا ولابد انك مجهدة.

- عفوا ، قبلني ثم تعال معي ...

قبلها قبلة طويلة .

- انا متاسف يا "تريشيا" على هذه الليلة وعلى كل هذه المرات التي ابتعدت فيها عنك. لكنني اعلم ما شعرت به عندما اصبح "بادي" جافا . لم ارد ان اعذبك.

- هذه الاعتذارات مقبولة تماما .. هل ستصطحبني ؟

- اريدك اولا ان تفكري في موضوع "ناتان". لاتتصرفي هكذا .

- لست في احتياج إلى التفكير . إنه سينجح تماما في المزرعة . لديه حدس فطري بالخيول . ثم إننا لا يمكننا التخلي عنه .

- لكنه عملك يا "تريشيا" . اتريدين حقا التنازل عنها ؟

- إنني لن افقدها ولن يحملها "ناتان" تحت ذراعيه إلى "فلوريدا".

- إنني غير مقتنع بهذا .

- علاوة على ان هذا العمل لايناسب النساء الحوامل .

- حامل ؟ هل انت حامل يا "تريشيا"؟

شعر بالصدمة لكنها لمحت شرارة فرحة في عينيه . كانت سعيدة لذلك لانها قد خشيت ان تعطيها خبرتها بالاسرة بعض التشدد.

- لا . لكنني امل ان تعالج هذا بنفسك.

- تاملين ؟

- لا بد ان ننجب وريثا لـ"جرين هيلز" ، اليس كذلك؟

- موافق على اقتراحك.

دفعته بتذمر مبالغ فيه.

- ستطلب مني في البداية يدي للزواج ، اليس كذلك؟

- هل هذا ضروري؟

- اعتقد هذا !

- هل تريدين الزواج بي يا سيدتي الجميلة؟

- نعم ، آه، نعم .

القت ذراعيها حول عنقه :

- تعلم انني احبك.

- نعم ، اعلم .

عندما رفع رأسه داعبت "تريشيا" ندبته.

قال وهو ينظر في عينيها :

- لقد تسببت فيها شقراء . سميتها "السيدة الجميلة".

قالت بحركة تراجع:

- افضل الا اعرف .

-لكن ،بلى . اسمعي . منذ ان بدأت تطرحين علي الأسئلة ... كانت مهرة و...

سألت وهي دهشة:

- لا "أفاق" و"قاهر" حصانان لكنها ... مهرة متوحشة . كان عمري وقتئذ سبعة عشر عاما . أول مرة رأيتها فيها كانت تعدو في اعلى الربوة . كان فستانها بلون النار . كانت جامحة ، خافت لدى رؤيتي وهربت .

قالت "تريشيا":

- أعرف هذا الشعور.

- اقتفيت أثرها عدة أيام وأنا أسير ضد الريح حتى تعتاد رائحتي . عندما تعرفت على مكانها ظللت ساكنا وتركتها تنظر إلي . امتطيت "أفاق" في اليوم الأخير للحاق بها.

وحاصرتها في شعب جبلي . ظلت تتخبط حتى "رويال سي" . سبقنا الموظفون وعندما وصلت كان أبي و"بي جي" منتظرين في الحوش أرادها "بي جي" في الحال .

قرر والدي ضرورة أن نمتطيها . سيكسبها من يبقى على ظهرها فترة طويلة.

- لكنها ملكك . انت من اقتادها .

-"بو" لا ينظر للأمور هكذا . سواء برية او غير ذلك فإنها موجودة على أرضه وأصبحت ملكه. إذا أردت الاحتفاظ بها فليس علي سوى أن أكون أقوى من "بي جي" كان يلزمها ثلاثة رجال لامتطائها . لم يركبها أحد قط وقررت المقاومة ، جاء دور "بي جي" في الأول وبقي على ظهرها اثنتي عشرة ثانية . كان يجب علي أن ابقى ثلاث عشرة ثانية حتى نهاية صفارة "بو" . كنت معتادا سباق "الروديو" . كنت اعلم أن

www.elromancia.com

وقتي مضى لكن لم يكن هناك أي صفارة . بقيت خمس عشرة ثانية أو ثماني عشرة.

لم يعد في إمكاني أكثر من ذلك . عندما سمعت الصفارة أخيرا تركت نفسي أسقط. ركلتني المهرة بقدميها قبل أن ينقذني الرجال. علمت فيما بعد أن أحد العمال هو الذي أطلق صفيرا وليس "بو" وتم طرده في اليوم التالي .

- لكن لماذا ؟ لماذا أراد أن يكسبها "بي چي"؟

- هذا ليس له علاقة بـ"بي چي" . لقد أراد إعطائي درسا : لا تثق أبدا في أي شخص حتى لو كان أباك . درسا لآل "كولبي".

- و"السيدة الجميلة" ؟ كيف أصبحت؟

- إنها ملكي لكنني لم أمتطها في عملي مع المواشي . إنها تعشق الجري في الريح على التلال . إنني أشعر بالحرية معها . اصطحبتها ليلة رحيلي إلى المكان الذي جلبته منه وتركتها ترحل. لم أرد قط أي شيء عنيف قبل رؤية هذه المهرة. حتى اليوم الذي رأيتك فيه عندما وصلت "جرين هيلز" يا "سيدتي الجميلة".

- لكنك لن تتركني أرحل. أليس كذلك؟

- كلا .. فعلتها مرة وقد قتلتني هذه الشهور الأربعة . لن يحدث هذا أبداً .

أمسكت يدها وتشبثت به ... تشبثت بالرجل الذي أحبها والذي سيساندها إلى الأبد .

قالت:

- لنعد إلى المنزل .

تمت